قطوف دانية

من مآثر المسلمين وظلام الغرب

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٦ - ٢٠١٥

قطوف دانية

من مآثر المسلمين وظلام الغرب

اختارها وقدم لها

إبراهيم النعمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مقدمة

الحمد لله حمداً يبلغني رضاه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد خير من اصطفاه، وعلى آله الطيبين، وصحبه المخلصين الصادقين، وعلى من اتبعَ هداه إلى يوم الدين!

أما بعد:

فيستطيع الباحث المنصف أن يؤمن إيماناً لا شك فيه: أن التاريخ البشري لم يشهدْ كتاباً من الكتب أهَّلَ أُمةً من الأُمم لقيادة البشرية كالقرآن الحكيم، الذي أنزله الله على قلب محمد بن عبد الله ﷺ. كما يستطيع ذلك الكاتب الثبتُ أن يقرر: أنَّ أيَّ جيل كان لم يتمكن أن يُقيم الحق والعدل ويحققَ المساواة بين الناس كجيل صحابة رسول الله رضوان الله عليهم. كل ذلك في فترة وجيزة لم تتجاوز ثلث القرن من الزمان، بعد تلك الفترات المظلمة التي عاشتها الأمةُ غارقةً في بحر تيهها وضلالها وانحرافها في العقيدة والشريعة والسلوك الاجتماعي الصحيح. وهكذا تخرَّج من مدرسة النبوة جيل ضرب أروع الأمثلة في كل أدب جم وخلق رفيع. إنه جيلٌ قرآني فريد، وَجَدَ المربيَ الذي صاغه اللهُ على عينه فعلمهم فأحسنَ تعليمهم، وهذبَهم فأحسن تهذيبهم، وسارَ بهم سيرةً صارت مضرب الأمثال في التربية والتوجيه والتهذيب والتعليم.

وإذا كان القرآن الحكيم كتاب هدايةٍ أثَّرَ بنفوس الناس بتلك التوجيهات التي غيَّرت مجرى حياتهم، فقد استطاع هؤلاء وكلُّ العقلاء أن يؤمنوا إيماناً راسخاً: أنَّ هذا القرآن منزَّل من عند الله، ذلك أنه تحدَّى الناس كلهم منذ عهد نزوله على قلب الرسول الكريم ﷺ أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله فعجزوا -ايضاً-. وظل هذا التحدي قائماً منذ نزوله على الرسول الكريم إلى يوم الناس هذا، وسيظل قائماً إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها. وهيهات أن يقدر الناس متفرقين أو مجتمعين أن

يأتوا بمثل سورة واحدة من سور القرآن -ولو كانت أقصر سورة-. وكيف يستطيعون ذلك وقد قال الله تعالى:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ سورة الإسراء.

وهكذا فأنَّ معجزة الرسول العظمى كانت في القرآن الكريم. وهي المعجزة الباقية التي ستظل حجةً قائمة على الناس -كل الناس- إلى يوم القيامة.. وهي نبراس للدعاة إلى الله: منه يقبسون النور، ويستمدون الهداية، ويجدون الطريقَ المستقيم كُلما ادلهم الليل بظلامه وضاعت السُبل.

على أنَّ الجانب المهم من جوانب إعجاز القرآن هو الذي يُطلقُ عليه العلماءُ أسم (الإعجاز البياني)، ذلك أنَّ العرب هم أرباب الفصاحة والبلاغة البيان، وكانت الأسواقُ تعقد في المباراة بالخطب والأشعار التي تأتيها القبائلُ العربيةُ من هنا وهناك. فكأنَّ القرآن الحكيم يهزُّ عقول هؤلاء هزاً عنيفاً ويقول لهم: إن حروف القرآن هي الحروف نفسُها التي تكتبون بها خُطبكم وأشعاركم ويتباهى بها بعضكم أمام بعض، وتكون محلَّ فخركم واعتزازكم. فإذا كان هذا القرآن قد جاء به محمد ﷺ من عند نفسه - كما زعم بعضكم مكابرةً أو غيرة- فلماذا لم يستطع مصاقع الخطباء وأفذاذ البلغاء فيكم، أن يأتوا بمثل سورةٍ واحدةٍ من مثل سور القرآن في بلاغتها وفصاحتها وبيانها وحسن تأليفها؟ ألا يدلُ هذا على أنَّ القرآن مُنَزَّل من عند الله، وأنه لم يأت به محمد ﷺ من عند نفسه؟

هذا هو الجانب المهم من جوانب إعجاز القرآن الذي كَتَبَ فيه الكاتبون، فألَّفوا المؤلفاتِ الكثيرةَ والأسفارَ العديدة.

ونستطيع أن نجدَ أنواعاً كثيرة أخرى من إعجاز القرآن، منها: الإعجاز الموضوعي بخصائصه ووجوهه، والإعجاز التشريعي، والإعجاز النفسي، والإعجاز العلمي ... بيد أنَّ الإعجاز العلمي -بحق- صارَ من أبرز وجوه

الإعجاز في هذا العصر. ومن الضروري أن يؤكِّدَ عليه المثقفون، لأنه من أفضل الأساليب في دعوة الناس إلى الإسلام، والله تعالى يقول في قرآنه الكريم:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ سورة فصلت، فكأن الآية الكريمة تشير إلى ما سيكتشف الناس من حقائق علمية في المستقبل. يدل على ذلك حرف الاستقبال (السين) في قوله﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا... ﴾. وكلَّما تقدّمَ العلمُ ازدادت الأدلة على أن هذا القرآن منزَّل من عند الله. ونحن حين نتحدث في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، نقرر أن القرآن يُفسَّرُ بالحقائق العلمية وليس بالنظريات، إذ النظريات قابلةٌ للخطأ والصواب. وليس صواباً أن نُحمِّلَ الآية مالا تحتمل من الوجوه، ولا أن نتعامل مع القرآن على أنه كتابٌ من كتب العلوم..! لا. فالقرآن لم يأتنا ليحدثنا في أسرار عِلمِ الطب أو الهندسة أو الفلك، بل جاء كتابَ هداية إلى الناس كافة. ومع ذلك فأنَّ إشاراته العلمية التي لم تكتشف إلا بعد نزوله بأربعة عشر قرناً تعتبر من المعجزات الباهرات التي تدلُّ دلالةً واضحة على أنَّ هذا القرآن منزّل من عند الله.

ومما يفخر به كل مسلم في هذا الوجود موقف الإسلام من العلم ودعوته إلى الأخذ بأسباب المعرفة، والجهود التي بَذَلَها المسلمون في الأخذ بذلك: فلا نعجب إذا علمنا أنَّ التابعي الجليل (عامر الشعبي) يقول: لو أنَّ رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة، ما رأيت أنَّ سفره قد ضاع.

ويسمو الإسلام بالعلم وطلبِهِ حتى يجعله عبادةً من أجَلِّ العبادات التي تقترن بالصلاة وقيام الليل، فيقول عبد الله بن مسعود ﷺ: الدراسةُ عبادة.

ويقول أبو الدرداء: مذاكرةُ العلم ساعةً خيرٌ من قيام ليل.

ويقول ابن عباس: تذاكُرُ العلم بعضَ ليلةٍ أحبُّ إليَّ من إحيائِها.

ويقول الإمام الشافعي: طلبُ العلم أفضلُ من صلاة النافلة.

هذا هو موقف سلفنا الصالح من العلم. فأية أُمةٍ من الأُمم وقفت من العلم ما وَقَفَتهُ هذه الأمة؟!

وإذا يَمَّمنا وجوهنا شطرَ قُضاةِ المسلمين وما كانوا عليه من إقامة العدل بين الناس وإعطاء كل ذي حق حقه رأينا العجب العجاب. فما كانت تأخذُهم في إقامة العدل لومةُ لائم، ممتثلين أمر الله تعالى لعبادة المؤمنين في كتابه:

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ سورة النساء.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ سورة المائدة.

وهكذا ضرب المسلمون بسهم وافر في إقامة الحق والعدل بين الناس، لا نجد له نظيراً ولا شبيهاً في أيِّ مجتمع كان من المجتمعات. وعاشت الأمة الإسلامية عصوراً زهراء فترة ليست بالقصيرة من الزمن: تنعم بالأمن والسعادة والاطمئنان، أعطت البشرية فيها عقيدةً وخُلُقاً وثقافة وحضارة شملت جوانب الحياة كلها، وخلّصتها من تلك الجهالات القاتلة التي ضربت أطنابها في أرجاء الدنيا، فكانت قائدةً للأمم وهادية للشعوب، ضربت أروع الأمثلة في القيادة الخيِّرة التي شهد لها العدو والصديق معاً! بيد أنها بعد تلك القرون التي سادت بها الدنيا وقادت، لم يُكتب لها أن تسير سيرتها الأولى، إذ ركنت إلى شهوات الدنيا وملذاتها، وتناءت عن الالتزام بتطبيق مصدر قوتها وعظمتها، فدبَّ فيها الضعف، وأصابها الوهن، فطمع فيها العدو فاستعمر بلادها، وأذاقها أنواعاً من الويل والعذاب والنكال ...!

لقد استعمرت بلاد المسلمين من القوى الكبرى آنذاك، وقام هؤلاء بوضع مناهج دقيقةٍ لتوجيه شباب الأمة المسلمة توجيهاً خاصاً لا يمتُّ إلى عقيدة الأمة وشريعتها وخلقها بنسب من قريب ولا من بعيد! وقد نجح هؤلاء نجاحاً كبيراً؛ إذ خرَّجوا أجيالاً لا صلة لها بماضيها المشرق، ولا بتراثها الزاهر، قد قَلَبَتْ لإسلامها ظهرَ المِجن، وتنكرت لكل ما يتصل به! وقد صدق الدكتور محمد إقبال إذ يقول:

(إن التعليم هو (الحامض) الذي يُذيب شخصية الكائن الحيّ، ثم يكوِّنها كيف يشاء. إنَّ هذا الحامض هو أشدّ قوّةً وتأثيراً من أي مادة كيميائية، هو الذي يستطيع أن يحوِّل جَبَلاً شامخاً إلى كومة تراب)[1].

لقد نجح المستعمرون في محاربة ديننا، فخرَّجت من مدارسهم جيلاً لا يعرف الصلة بالله، ولا يهمه غير الشهوات والملذات؛ فأَغرَقوا المجتمع بطوفان من المفاسد والرذائل. يقول الأمريكي (بيارد ضودج) في محاضرته عن الإسلام:

(ويلوح لي أنَّ (هوليود) قد أثَّرت في الجيل الحاضر من المسلمين أكثر من تأثير مدارسهم الدينية)[2].

ويقول أحدُ أقطاب المستعمرين:

(كأسٌ وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألفُ مدفع، فأغرقوها في حُبِّ المادة والشهوات)[3].

ومما أكَّدَ عليه المستعمرون في مدارسهم تلك: محاربة شخصياتنا الإسلامية التي أَدهشت الدنيا بنبلها أو ابتكاراتها، والتقليل من مكانة حضارتنا، وتوجيه نظر شبابنا نحو الغرب: بثقافته وحضارته ومقوّماته، حتى صار يرى فيه مثله الأعلى في كل شيء...!

---

(١) نحو التربية الإسلامية الحرة للأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي ص٣٦. الطبعة الأولى.

(٢) الإسلام في نظر الغرب تعريب الدكتور إسحق موسى الحسيني ص٢.

(٣) إلى كل أب غيور للأستاذ عبد الله علوان ص٣٠.

لقد حورب هذا الدين الحنيف أشدّ ما تكون الحرب..!

وحوربت أمةُ الإسلام أخبث وأفظع ما تكون الحرب..!

واصطلحت دُوَلٌ شتى وقوىً كثيرة ظاهرة وخفية على محو هذا الدين وإبادة هذه الأمة..!!

لقد مزَّقوا المسلمين شرَّ ممزّق، وحالوا بينهم وبين دينهم، ورَبَّوا شبابهم على الولاء لكل فكر وافد، وفلسفة جاحدة، ونظام فاسد، ونشَّؤوه على الخُلُق الهابط، والسلوك الأرعن، ونزعوا من وجهه كلَّ حياء، وزيَّنوا له التمرد على دينه، والكفر بتاريخه، والتنكر لتراثه، وألقوا في رُوعه أنه لن يكون وفياً لأمته إلاَّ إذا خلصها من بقايا دينها الذي كرَّهوه إليه باسم الرجعية، ولن يكون متحرراً تقدمياً إلاَّ إذا نهل من منابع الكفر والإلحاد!

وإذا كان المستعمرون قد بذلوا هذه الجهود الجهيدة لطمس معالم الإسلام وإخفاء بهائه، فإن الشمس لا تُغَطى بالغربال -كما يقولون- وان الكذب والخداع والدجل لا بدَّ أن يظهر ظهور الشمس في رابعة النهار، وإن الأمة الأصيلة لا بُدَّ أن تعود إلى ماضيها المشرق الذي صارت به أمة: توجِّهُ به حاضرها في ضوء ماضيها، وهذا الذي كان؛ إذ عادت إلى الأمة صحوتها؛ فصارت تحرص على الاعتزاز بكل ما يمت إلى دينها من قريب أو بعيد..!

وعادت صرخاتُ المصلحين الصادقين تنطلق من هنا وهناك، تدعو الأمة المسلمة إلى العودة إلى الإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه، وأن تقف ملياً أمام ذلك المجد الشامخ الذي أرسى قواعده الآباء والأجداد.. ذلك المجد الذي عمل الغرب على طمس بهائه وإخفاء نوره..!!

ولا بدَّ لنا أن نقرر هنا: أنَّ الأمم التي ليس لها تاريخ تختلق لها تاريخاً، وتلفِّقُ لها ماضياً تحلّه من نفسها المحل الأرفع؛ لترفعَ به رأسها بين الأمم.. فكيف

ونحن لنا من تاريخنا -فضلاً عن ديننا- ما نباهي به الدنيا قاطبة؟!

كيف ونحن عندنا من المبادئ والقيم ما ستظل البشرية -في مسيرتها الطويلة- في أمسِّ الحاجة إليه؟!

كيف ونحن لنا من المفاخر والأمجاد ما يُعتبر -بحق- قرةَ عين الدنيا؟!

وهذه المفاخر والأمجاد لم يخلُ منها جيل من الأجيال، ولم تكن محصورةً في طبقة خاصة من طبقات الناس، بل نجدها في طبقات الناس كلها: حاكمها ومحكومها. وقد كثرت النماذج الرائعة من حكام المسلمين كثرة هائلة ... وهيهات أن نجدَ في غيرهم مثلما نجده فيهم من الإخلاص وإقامة موازين القسط بين الناس، وإشاعة المساواة في المجتمع كله!

حقاً إنه ما من دين أنبت نباتاً حسناً كالإسلام، وما من مدرسة خرّجت فأحسنت التخريج، وربَّت فأحسنت التربية كمدرسة محمد ﷺ، وما من فكرة مباركة الجنى، يانعة الثمرة كالفكرة الإسلامية، وما من أمة أنجبت رجالاً (كانوا كالشمس للدنيا وكالعافية للناس) كما أنجبت أمةُ الإسلام، وما من بلاد أشرقت في سمائها شموس الهداية والورع والتقى مثل أوطان المسلمين يوم سُعِدَت بالإسلام! لقد أسعد الله أمتنا برجال غيَّروا ضعف المسلمين قوة، وتمزّقها وحدة، وتقهقرها تقدماً، رجالً ﴿ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ فصدقهم الله ونصرهم ونصرَ بهم، وأعزّهم وأعزَّ بهم، وأمدهم بروح منه..!

ألا ما أحوج المسلمين -حكاماً ومحكومين- أينما كانوا لاستحضار هذه المعاني، واتخاذ هؤلاء الأطهار الأبرار أسوةً وقدوة!

وما أحوج أبناءنا إلى وضع هذه النماذج ومثيلاتها ضمن مناهجهم التي يدرسونها لتثبيت إيمانهم، وزيادة ثقتهم واعتزازهم بدينهم وتاريخهم، ولصرف أنظارهم عن الأفكار المجانبة لديننا، والمناقضة لقيمنا ومبادئنا وتقاليدنا!

إن المسلمين مدعوون -حيثما كانوا- إلى الثبات على دينهم، وأن لا تصرفهم عنه الصوارف مهما كانت، وأن يعضوا على الصغير والكبير من دينهم بالنواجذ،

بل ليس في الإسلام صغير وكبير، إن كل ما فيه كبير، وعلى لسان كل منا قوله تعالى:

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة الزخرف.

فيا مَن بُحّتْ أصواتكم، وأفنيتم أعماركم أو كدتم، وهدرتم الكثير من جهودكم تطلبون المساواة وتحلمون بالحرية، فما حصدتم غير الخيبة والشقاء، وما وصلتم إلاَّ إلى سراب: تعالوا إلى الإسلام ففيه المساواة التي تريدون، والحرية التي تنشدون:

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾سورة البقرة.

ولا بد لي أن أقرر هنا: أني لم أكن أول مَن نهج هذا النهج في اختيار قطوف وروائع من ماضينا المشرق، بل هناك الكثير الكثير من علماء العالم الإسلامي قديماً وحديثاً مَن نهج هذا المنهج، إذ هو أسلوب ناجح من أساليب الكتّاب لإيصال فكرة معينة إلى القارئ من أيسر السبل، وبخاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه مشاغل الناس، وضعفت هممهم، فهم يريدون الحصول على ما يبتغون بأيسر جهد.

ومما دعاني إلى جمع وتدوين هذه القطوف والروائع: تلك الثروة الهائلة من المكارم والفضائل التي تركها لنا السلف، منبثةً هنا وهناك في بطون الكتب. وقد حاولت أن أجمع قسماً منها لما لمسته من حاجة أبنائنا إلى تذكر ما كان عليه سلف هذه الأمة، إذ يحق لكل مسلم أن يباهي بتلك الفضائل والمكارم الدنيا كلها. لكن المباهاة -وحدها- لا تكفي ما لم نسلك نحن مسلك سلفنا الصالح ونقتد بهم، ولسان الحال يقول:

وتشبهوا إنْ لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

وتيسيراً على القارئ الكريم، قمتُ بتقسيم الكتاب إلى عشرة فصول ليسهل على القارئ الرجوع إلى ما يهمه منها، وهذه الفصول هي:

١- السبق العلمي للقرآن الكريم.

٢- الإسلام والعلم.

٣- من روائع القضاء الإسلامي.

٤- من وصايا الحكماء.

٥- مع الشعر الإسلامي.

٦- الإسلام والغرب.

٧- قالوا في الإسلام.

٨- من مكارم الأخلاق.

٩- الإسلام دين الحياة.

١٠-مع صحابة رسول الله ﷺ.

ولا أزعم أني بذلتُ جهوداً جهيدة في استخراج هذه الدرر من أصدافها، وذلك لكثرتها الكاثرة في مؤلفات سلفنا الصالح. ولا عمل لي في الكتاب سوى جمعها والتعليق على قسم منها بما يناسبها. مؤملاً من شبابنا ومثقفينا أن تكون لهم نبراساً ليستضيئوا به في طريقهم. والله يقول الحق، ومنه -وحده- الهداية والسداد.

إبراهيم النعمة

السبق العلمي للقرآن الكريم

المعالجة بالقرآن الكريم

نشرت مجلة الجمعية الطبية الإسلامية في (بنما سيتي) في ولاية (فلوريدا) مقالاً للدكتور أحمد القاضي مدير معهد الطب الإسلامي تحت عنوان (تطبيق جديد للمعالجة بالقرآن الكريم) قال فيه:

(وَجَدنا أن الإصغاء لآيات القرآن الكريم له علاقة مباشرة بتقليل التوترات والانفعالات النفسية. وكذلك له علاقة غير مباشرة -وربما مباشرة أيضاً- لتحفيز الجهاز المناعي للجسم الذي له دور فعَّال في عملية الشفاء. وهذا التأثير بسماع كلام الله المبارك وآياته، يحصل حتى لأولئك المرضى الذين لا يفهمون شيئاً من اللغة العربية، فضلاً عن الذين يفهمونها ويعرفون شيئاً من معاني القرآن! ولكن تأثيره يكون أكثر في الذين يدركون معاني القرآن).

ويشير الدكتور القاضي في مقاله هذا إلى دراسته الأخيرة التي قام بها في هذا الشأن فيقول:

(توصلنا إلى وجود فائدة كبيرة وتأثير عظيم بمساعدة المرضى للتخلص من أعراض أمراضهم النفسية السلبية التي يعانون منها. وقد ثبت علمياً أنها تؤدي إلى تثبيط وتقليل فعالية الجهاز المناعي للجسم. وهذه الأعراض تكون دائماً متلازمة مع الأمراض المزمنة والمستعصية. وهذا الجانب من الشفاء بوساطة سماع القرآن الكريم له دور إيجابي في تقوية وتنشيط الجهاز المناعي للجسم، وهو يساعد بدوره على التغلب على هذه الأمراض)[1].

وصدق الله العظيم القائل:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة الإسراء/ ٨٢.

---

(١) لزيادة الإطلاع انظر كتابنا: العلاج النفسي في القرآن الكريم.

الإعجاز التاريخي القرآني في غرق فرعون

قال الله تعالى:

﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ سورة يونس.

معنى (ننجيك ببدنك) ليس النجاة من الغرق والخروج سالماً إلى البر، وإنما المعنى أنّ بدنَكَ لن يتحلَّلَ في الماء بعد موتك، ولن يضيع وسط الأمواج، وإنما ستطرحهُ أمواج البحر على الشاطئ؛ ليراك المصريون الذين زعمتَ أنك ربهم الأعلى جثةً هامدة؛ فتكون بموتك أية لهم لستَ رباً ولا إلهاً، وعندها يعرفون أن لا إله إلا الله. وبهذا يكون موتك غرقاً وإلقاؤك على الشاطئ ميتاً آيةً واضحةً على قدرة الله، ودليلاً قوياً على وحدانيته سبحانه.

هذه الحقيقة القرآنية عن نجاة جثة فرعون (منبتاح) وطرحها على الشاطئ لم ترد في رواية التوراة، ولم يذكرها الإنجيل أساساً، ولم تكن معروفة لدى علماء التاريخ القديم.

وفي العصر الحديث تم اكتشاف جثث بعض الفراعنة المحنطة، ومن ضمن تلك الجثث جثة منبتاح. يقول البروفيسور (موريس بوكاي):

(في ١٨٩٨ بوادي الملوك بطيبة اكتشف (لوريت مومياء) (منبتاح بن رمسيس الثاني)، وكل شيء يسمح بالاعتقاد بأنه فرعون الخروج. ومن هناك نُقلت المومياء إلى القاهرة، ورَفَع (إليوت سميث) عنها أربطتها في ٨/ ٧/ ١٩٠٧.... ومنذ ذلك التاريخ والمومياء معروضة للزوار بمتحف القاهرة، مكشوفة الرأس والرقبة، أما بقية الجسم فهو مغطى بقطعة من القماش، وصدق الله العظيم القائل:

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ ﴾.

وإن هذا الاكتشاف الأثري المثير لمومياء -جثة أو بدن- فرعون الخروج (منبتاح) لهو دليل من أوضح وأصدق الأدلة على مصدر القرآن، وأنه كلام الله، وليس من تأليف محمد ﷺ... وإلاَّ فمن أين عرف محمد الأمي ﷺ أن فرعون الغريق لم تبتلعه الأسماك، ولم تسحبه الأمواج، وإنما أنجى الله جثته الهامدة، وألقى بدنه المنتفخ بالماء على الشاطئ. فكان بذلك المنظر المثير آية لقومه وحاشيته ورجاله أنه ليس إلهاً، وإنما هو مخلوق عاجز ضعيف، وها هو مهزوم حقير غريق منتفخ.

ومن أين عرف محمد ﷺ أن قومه أخذوا بدنه ووضعوه في مقبرة (وادي الملوك) في مدينة (طيبة) ليأتي بعد ثلاثة آلاف سنة من موت ذلك الفرعون، وبعد ثلاثة عشر قرناً من نزول القرآن المصرِّح بأن جثة ذلك الفرعون ناجية، ليأتي (لوريت) عام ١٨٩٨ ويكتشف تلك الجثة وتوضع أمام الزوّار في متحف القاهرة؟!! ينظر الزائرون إليها في هذا العصر فيجدون فيها آية على حقائق كثيرة من أهمها أنها آية على تحقق الإعجاز التاريخي في الأخبار القرآنية.

أي بيان رائع لآيات القرآن ذلك الذي يخص بدن فرعون، الذي تهبه قاعة المومياء الملكية بدار الآثار بالقاهرة لكل مَن يبحث في معطيات المكتشفات الحديثة عن أدلة على صحة القرآن الكريم!!

علم التشريح والإحساس في الجلد

كان المعتقد أن الإحساس من صفات الجسد بكل أجزائه، وأنه متساوٍ في درجة إحساسه بالأشياء. لكن علم التشريح الحديث جاء بحقيقةٍ جديدة كان الناس جميعاً يجهلونها هي: أن مراكز الإحساس بالألم وغيره إنما تتركز بالجلد بكمية كبيرة، حتى إن الإنسان لا يشعر بألم وخز الحقنة (الإبرة) إذا أدخلت في جسمه إلاَّ عند دخولها في منطقة الجلد، لكن القرآن ذكر هذه الحقيقة قبل علماء التشريح في القرن العشرين قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾ سورة النساء.

إي أن الإحساس بالألم والعذاب يتركز في جلودهم، فإذا نضجت استراحوا من عذاب النار. لكن العليم الخبير بخلقه يعلم ذلك، وأخبرنا به قبل أن نعرفه وقال: إنه سيبدلهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب!

فهل كان لمحمد ﷺ أجهزةٌ تشريحية خاصة به من دون الناس؟ أم هذه آيةٌ من آيات الله، تشهد أن القرآن كلام الله قد نزل بعلمه سبحانه، وصدق الله العظيم القائل:

﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ... ﴾ سورة فصلت/ ٥٣.

ملازمة الليل والنهار على الأرض

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة يونس.

تشير هذه الآية إلى أنّ قيام الساعة ستكون إما ليلاً أو نهاراً. ولكن لماذا لم يقل القرآن (أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا) أو (أَتَاهَا أَمْرُنَا نهاراً)؟ ذلك أنَّ كل إنسان يعرف أنه إذا لم تكن الساعة ليلاً فستكون نهاراً، فلماذا استعمل القرآن هذا التعبير: (أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلا أَوْ نَهَارًا)؟

لقد وضح الأمر بعد أن تقدَّم العلم وكشف عن السرِّ الخفي في هذا التعبير القرآني: فلو قال القرآن: أتاها أمرنا ليلاً، لصحَّ لأيِّ إنسان أن يقول: إنَّ هذا القرآن

من عند محمد ﷺ، وبالمثل لو قال: (أَتَاهَا أَمْرُنَا نهاراً)، ذلك لأن الساعة التي ستقع كلمح البصر ستقع على الأرض كلها. وقد عرفنا أنَّ الليل والنهار على الأرض دائماً: ففي الوقت الذي يكون عندنا ليل يكون عند غيرنا نهار، وهكذا يأتي أمر الله (ليلاً أو نهاراً): ليلاً على الذين عندهم الليل، ونهاراً على الذين عندهم النهار. وصَدَقَ الله العظيم القائل:

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

سموات بلا عمد مرئيّة

قال الله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ سورة الرعد.

وهذه الآية مطابقة لما كان يراه الرجل القديم؛ فإنه كان يشاهد عالماً كبيراً قائماً بذاته في الفضاء، مكوّناً من الشمس والقمر والنجوم، ولكنه لم يَرَ لها أية ساريات أو أعمدة. والرجلُ الجديد يجد في هذه الآية تفسيراً لمشاهدته التي تثبت أنَّ الأجرام السماوية قائمة دون عَمَدٍ في الفضاء اللانهائي، بيد أنَّ هناك (عمداً غير مرئية)، تتمثل في قانون (الجاذبية) gravitation pull وهي التي تساعد كل هذه الأجرام على البقاء في أمكنتها المحددة.

البرزخ

قال الأستاذ وحيد الدين خان في كتابه القيم (الإسلام يتحدى) في الصفحتين ٢١١-٢١٢: ذكر القرآن الكريم قانوناً خاصاً بالماء في سورتين هما (الفرقان) و (الرحمن). وجاء في السورة الأولى:

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ سورة الفرقان.

وأما الآية التي وردت في السورة الأخرى فهي تقول:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة الرحمن.

إنَّ الظاهرة الطبيعية التي يذكرها القرآن في هذه الآيات معروفة عند الإنسان منذ أقدم العصور: وهي أنه إذا ما التقى نهران في ممّرٍ مائيٍ واحد، فماء أحدهما لا يدخل (أي لا يذوب) في الأخر. وهناك على سبيل المثال نهران يسيران في (تشاتغام) بباكستان الشرقية إلى مدينة (أركان) في (بورما). ويمكن مشاهدة النهرين مستقلاً أحدهما عن الآخر، ويبدو أنَّ خيطاً يمرّ بينهما حداً فاصلاً، والماء عذب في جانب ومالح في الجانب الآخر. وهذا هو شأن الأنهار القريبة من السواحل. فماء البحر يدخل في ماء النهر عند حدوث (المد البحري)، ولكنهما لا يختلطان، ويبقى الماء عَذباً تحت الماء الأُجاج. وهكذا شاهدت عند ملتقى نهري (الكنج) و (الجامونا) في مدينة (الله آباد)، فهما رغم التقائهما لم تختلط مياههما. ويبدو أنَّ خيطاً فاصلاً يميّز أحدهما من الآخر.

إنَّ هذه الظاهرة -كما قلت- كانت معروفة لدى الإنسان القديم.. ولكنا لم نكتشف قانونها إلاَّ منذ بضع عشرات من السنين. فقد أكدت المشاهدات والتجارب أن هناك قانوناً ضابطاً للأشياء السائلة يسمى (قانون المط السطحي) Surface tension وهو يفصل بين السائلين؛ لأن تجاذب الجزيئات يختلف من سائل لآخر، ولذا يحتفظ كل سائل باستقلاله في مجاله. وقد استفاد العلم الحديث كثيراً من هذا القانون الذي عبَّرَ عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ **بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ** ﴾. وملاحظة هذا البرزخ لم تخف عن أعين القدماء، كما لم تتعارض مع المشاهدة الحديثة. ونستطيع بكل ثقة أن تقول: إن المراد من (البرزخ) إنما هو (المط أو التمدد السطحي) الذي يوجد في الماءين، والذي يفصل أحدهما عن الآخر.

العلم وإحصاء الأعمال

قال الأستاذ وحيد الدين خان في كتابه القيم (الإسلام يتحدى) في الصفحات ١٣٢-١٣٤ تحت عنوان (مسألة العمل):

(ولننظر الآن في مسألة (العمل): ومعلوماتنا في هذا الصدد تصدِّق بصورة مدهشة إمكان حدوث الآخرة.

فالعلم الحديث يؤكد إيمانه بأنَّ جميع أعمالنا - سواء أباشرناها في الضوء أم في الظلام، فرادى أم مع الناس- كل هذه الأعمال موجودةٌ في الفضاء في حالة الصور، ومن الممكن في أيَّة لحظة تجميع هذه الصور حتى نعرف كل ما جاء به إنسان ما من أعمال الخير والشر طيلة حياته، فقد أثبتت البحوث العلمية أن كل شيء- حدث في الظلام أو في النور، جامداً كان أو متحركاً- تصدُرُ عنه (حرارة) بصفة دائمة في كل مكان وفي كل حال، وهذه الحرارة تعكس الأشكال وأبعادها تماماً: كالأصوات التي تكون عكساً كاملاً للموجات التي يحركها اللسان. وقد تم اختراع آلات دقيقة لتصوير الموجات الحرارية التي تخرج عن أي كائن، وبالتالي تعطي هذه الآلة صورة فوتوغرافية كاملة للكائن حينما خرجت منه الموجات الحرارية (Heat waves). ومثاله أنني أكتب الآن في مكتبتي، وسوف أغادرها بعد ساعة، ولكن الموجات الحرارية التي خرجت من جسدي أثناء وجودي ههنا ستبقى دائماً، ويمكن الحصول على تسجيل كامل لجلستي في المكتبة في أي وَقت بوساطة تلك الآلة، غير أنَّ الآلات التي تمَّ اختراعها إلى الآن، لا تستطيع تصوير الموجات الحرارية إلاَّ خلال ساعات قليلة من وقوع الحادث. أما الموجات القديمة، فلا تستطيع هذه الآلة تصويرها، لضعفها.

وتستعمل في هذه الآلة (أشعة إنفرارد) التي تصوِّر في الظلام والضوء على حدٍ سواء. ولقد بدأ العلماء في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية استغلال هذه الآلة في تحقيقاتهم. وذات ليلة حلَّقَت طائرة مجهولة في سماء (نيويورك)، فَصَوَّرُوا

الموجات الحرارية لفضاء (نيويورك) بهذه الآلة، وأدى ذلك إلى معرفة طراز الطائرة ونوعها.. ولقد أطلق على هذه الآلة أسم: (آلة تصوير الحرارة) Evaporagraph ونشرت جريدة (هندوستان تايمس الهندية) تعليقاً بمناسبة هذا الاختراع، تقول: (إننا بفضل هذه الآلة سوف نستطيع أن نشاهد تاريخنا على شاشة السينما في المستقبل، ومن الممكن أن تنتهي هذه العملية إلى كشوف عجيبة، تغيِّر أفكارنا عن التاريخ من جذورها).

وإنني اعتبر هذا الاختراع عجيباً كلَّ العجب، فمعناه أنَّ حياة كلٍ منا تصوَّرُ على مستوىً علمي، كما تسجل آلات التصوير الأوتوماتيكية السريعة جميع تحركات الممثلين السينمائيين. إنك لو صَفَعتَ فقيراً، أو حملتَ عِبئاً عن أحد الغرباء، أو شغل بالك أمر من الخير أو الشر.. فإن جميع تحركاتك تسجل على شاشة الكون، حيث لا يسعك منعها أو الهرب منها، سواء أكنتَ في الظلام أم في النور. فحياتك كالقصة التي تصور في الأستديو، ثم نشاهدها على شاشة السينما بعد حقب طويلة من الزمن، وعلى بُعدٍ كبير من مكان التسجيل، ولكنك تشعر كأنك موجود في مكان الأحداث، وهكذا شأن كل ما يقترفه الإنسان، وشأن الأحداث التي يعيشها، فإنَّ فيلماً كاملاً لتلك الأحداث سوف يوضع بين يَدَي كل فرد، يوم القيامة، حتى يصرخ الناسُ قائلين:

﴿ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ سورة الكهف.

والتفاصيل العلمية التي أوردنا بعضها في الصفحات الماضية يتضح منها جلياً أن أجهزة الكون تقوم بتسجيل كامل لكل أعمال الإنسان، فكل ما يدور في أذهاننا يُحفَظْ إلى الأبد، وكل ما ننطق به من الكلمات يُسَجَّلُ بدقةٍ فائقة، فنحن نعيش أمام كاميرات تشتغل دائماً، ولا تفرِّق بين الليل والنهار وجميع أعمالنا، القلبية منها

واللسانية والعضوية كلها تسجل بدقة تامة. ولا يسعنا -ونحن نشرح هذه الظاهرة العلمية الخطيرة- إلاَّ أن نسلِّم بأنَّ قضية كلٍ منا سوف تقدَّم أمام محكمة إلهية.. وبأنَّ هذه المحكمة هي التي قامت بإعداد هذا النظام العظيم، لتحضير الشهادات التي لا يمكن تزويرها.

ولا يستطيع أيُّ عالم أن يُدليَ بتفسيرٍ أدق عن هذه الظاهرة سوى ما قلناه.. فلو لم تستطِع هذه الوقائع الصريحة الساخنة أن تجعل البشر يحسُّون بمسؤوليتهم إزاء المحكمة الجبارة التي ستقام يوم الحساب، فلا أدري ما الواقع الذي قد يجعل هؤلاء يفتحون أعينهم؟!

الرياح وإثارة السحب

إن أحدث تقسيم للسحب يقوم على أساس نوع الرياح التي تكوّنها وتثيرها. ولقد عرف علماء الأرصاد أنَّ الرياح تثير السحب من بخار الماء المتصاعد من البحار، كما تثير الرياح الغبار أو التراب، وعرفوا أن الرياح تحمل معها أجزاء صغيرة من ذرات التراب والغبار، أو حبوب اللقاح أو الدخان، فتلقح بهذا الغبار الماء المتصاعد من البحار، فتثير بخار الماء ليتجمع حول هذه الجزيئات الدقيقة التي أُلقيت فيه، مكوِّنة أغلفة مائية تنمو وتنمو، مكوَّنة قطرات ثقيلة،. ولقد ذكر القرآن الكريم استثارة السحب بوساطة الرياح في قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ سورة الروم/ ٤٨.

كما ذكر تلقيح الرياح لبخار الماء الذي يكون بعده تكوّن السحب الثقال ونزول المطر في قوله تعالى:

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ سورة الحجر/ ٢٢.

وذكر القرآن -أيضاً- أن الرياح تستثير السحب وتحملها -أيضاً- إلى أعلى،

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا ﴾ أي الرياح.

وأقَلَّ الشيءَ لغةً: حَمَلَهُ ورفعه، وهذا ما كشفه العلم اليوم، وأشار إليه القرآن الكريم من قبل قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] سورة يونس.

أصل الوقود الشجر الأخضر

أكتشف العلماء الكيماويون أنَّ مصادر الوقود جميعاً أصلها تلك النقطة الخضراء الموجودة في النبات.

فالنقط الخضراء تلك تخزن من وقود الشمس في أجزاء النبات وتحوَّله إلى مواد نباتية، يسهل أكلها أو حرقها، وإخراج الوقود الكامن في تلك الأجزاء.

كما اكتشف العلماء في طبقات الأرض أنَّ أصل (البترول) ومشتقاته كلها (بنزين، كيروسين) وغيرهما جميعاً مواد متحوِّلة من نبات، مطمور بالتراب والصخور، أو حيوانات تغذت على نباتات، وأخذت من النبات الوقود. وبهذا نعرف أن أنواع الوقود المستخدمة -كلها- أصلها من الشجر الأخضر، وقد قرَّر القرآن الكريم هذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ سورة يس.

(١) توحيد الخالق للأستاذ عبد المجيد عزيز الزنداني ١/ ١١٢-١١٣/ منشورات مكتبة المثنى/ بغداد.

كان القمر مشتعلاً ثم انطفأ

أخبر القرآن الكريم بما كشفه العلم أخيراً من أن القمر كان مشتعلاً فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ...﴾ سورة الإسراء/ ١٢.

والشاهد في الآية قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ فآية الليل: القمر، وآية النهار: الشمس. ومحونا آية الليل أي طمسناها وأزلنا ضوءها، والمحو والطمس لا يكون إلاّ بعد الإنارة. فمن هنا عرفنا: أن القمر كان مشتعلاً ثم مُحِيَ ضوؤه. وهذا السر لم يُعرَف إلاَّ قريباً. وبعد أن تيسّرت الآلات للباحثين. وهذا يشهد أنَّ محمداً ﷺ قد جاءه الوحي بهذا من عند الله القائل في كتابه:

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ سورة الفرقان.

الذباب يعجزنا

اكتشف الباحثون في علم الحشرات أنَّ الذباب مزود بغدد لعابية طويلة وغنية جداً باللعاب. وبمجرد أن يأخذ الذباب شيئاً من الطعام فسرعان ما يفرز عليه كمية كبيرةً من اللعاب تحوِّله من فوره إلى مادة أخرى.

فإذا أخذ الذباب منا شيئاً، وأردنا أن نستردّ منه ذلك الشيء الذي سلبنا لا نقدر؛ لأنه يسكب عليه لعاباً بمجرد أن يأخذه ويحوِّله إلى مادة أخرى. فإذا قتلنا الذباب و أمسكناه، وبحثنا عن المادة التي أخذها منا فلن نجد ما أخذ؛ لأنه قد حوّل ما أخذ إلى شيء أخر، قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ سورة الحج.

النمل يسمع ويتكلم

كان القرآن الكريم أول كتاب ذكر أن النمل مزوّد بأجهزة السمع والتخاطب. ولَّما تقدَم علم التشريح، ووجدت الأجهزة الدقيقة، وتقدّم علم الحشرات، اكتشف الباحثون أن النمل مزوّد بأجهزة للسمع، ومزوّد بأجهزة تمكنه من التخاطب بعضه مع بعض، قال تعالى:

﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة النمل.

التبرج والسرطان

نشرت مجلة (الوعي الإسلامي) في عددها الثاني والتسعين مقالاً عن الزيّ الإسلامي ومزاياه وما يجرُّهُ التبرجُ على الفتيات في أوربا جاء فيه:

نشر في المجلة الطبية البريطانية B.M.J الصادرة في الخامس عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٧٢ وعلى الصفحة ١٢٠ (أن السرطان الخبيث [الميلانوما] الخبيثة الذي كان من أندر أنواع السرطان، أصبح الآن في تزايد، وأن عدد الإصابات في الفتيات في مقتبل العمر يتضاعف حالياً، حيث يُصبنَ به في أرجلهن، وأنَّ السبب الرئيس لشيوع هذا السرطان الخبيث: هو انتشار الأزياء القصيرة التي تُعَرِّض جَسَدَ النساء لأشعة الشمس فترات طويلةً على مرِّ السنة! ولا تفيد الجوارب الشفافة أو [النايلون] في الوقاية منه).

وناشدت المجلة أطباء الأوبئة أن يشاركوا في جمع المعلومات عن هذا المرض، وكأنه يقترب من كونه وباءاً.

ويظهر هذا السرطان أولاً كبقعة صغيرة سوداء، وقد تكون متناهية في الصغر غالباً في القدم أو الساق [وأحياناً في العين]، ثم يبدأ بالانتشار في كل مكان وإتجاه، بينما هو يزيد وينمو في مكان ظهوره الأول، فيهاجم (العقد اللمفاوية) بأعلى الفخذ، ويغزو الدم، ويستقرُّ في الكبد ويدمرها، وقد يستقرُّ في الأعضاء كافة، ومنها العظام

والأحشاء بما فيها الكليتان، ولربما يعقب غزوَ الكليتين البولُ الأسود نتيجةً لتهتك الكلى بالسرطان الخبيث الغازي... وقد ينتقل إلى الجنين في بطن أمه... ولا يمهلُ هذا المرض صاحبه طويلاً. ولا يمثِّلُ العلاج بالجراحة فرصةً للنجاة كباقي أنواع السرطان الخبيث، ولا يستجيب إطلاقاً للعلاج بجلسات الأشعة!!

فإلى فتياتنا ولمن يشجعهنّ على التخلي عن زيهنّ الإسلامي محاكاةً وتقليداً.. ها قد تبيَّن لنا أنَّ التقليد ضار، بل يؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة..! فهل من معتبر؟!!

السواك والطب الحديث

من هدي الرسول الكريم ﷺ الحث على استعمال السواك، فقال ﷺ:

(لولا أن أشق على أُمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة) رواه البخاري برقم ٨٨٧، ومسلم حديث ٤٢/ ٢٥٢.

وقال:

(السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) رواه النسائي وأبن خزيمة في صحيحه، والطبراني في الكبير والأوسط من حديث ابن عباس.

ولقد أثبتت البحوث الطبية فوائد السواك للأسنان. يقول الدكتور عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد في كتابه (السواك والعناية بالأسنان):

(يحتوي السواك على العفص. ولهذه المادة تأثير مضاد للتعفنات والإسهالات. كما يعتبر العفص مطهراً، وله استعمالات مشهورة ضد نزيف الدم كما يطهر اللثة والأسنان، ويشفي جروحها الصغيرة، ويمنع نزيف الدم منها).

ولقد أثبت الدكتور عبد الحميد القضاة في جامعة كراتشي بباكستان أن السواك يقضي على خمسة أنواع من جراثيم الفم.

ويقول الدكتور ظافر العطار:

(إن تركيب هذا النبات هو ألياف حاوية على كربونات الصوديوم، وهي المادة المفضلة لاستعمال المعجون السني من قبل مجمع معالجة الأسنان التابع لجمعية طب الأسنان الأمريكية، ليستعمل كمادة سنية وحيدة. وتوجد مواد أخرى مثل العفص Tannic Acid الذي يساعد في حالات التهاب اللثة).

وهكذا يرشد الإسلام لما فيه خير الدنيا والآخرة، ليعيش المسلم حياته سعيداً في دنياه وأخراه.

الأمراض النفسية وعلاجها بالصلاة

أشار الدكتور محمد يوسف خليل مستشار الطب النفسي إلى أن الصلاة تعتبر وسيلة علاج نفسي- تعتمد على عدة وسائل، من بينها: عملية التصور وتركيز الانتباه؛ إذ ان أعلى درجات العبادة هي (الإحسان)، وهو استحضار الخشوع، وعظمة موقف المثول بين يَدَي الله -جلَّ وعلا- أثناء الصلاة. وهذا الخشوع الناتج عن التركيز الباطني يحدث انخفاضاً للتوتر؛ مما يؤدي إلى راحة نفسية وجسمية مهمة. لذلك نجد الرسول ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وكان يقول لسيدنا بلال: (أرحنا بها يا بلال) أي أرحنا بالصلاة.

كما أشار الدكتور محمد يوسف خليل إلى أن الصلاة تمثِّلُ علاجاً نفسياً لم يكتشف إلا حديثاً: ألا وهو تهدئة التوتر بتغيير الحركة. ولقد ثبت أن تغيير الحركة مع مراقبة الجسم بجهاز خاص يسمى (بيو فيدباك) يحدث إسترخاءاً فسيولوجياً مهماً. ونستنتج أن الركوع والسجود والقيام كلها عمليات تغيير حركة من غير المستبعد أن تؤدي إلى علاج التوتر بنفس طريقة العلاج الحديث إن لم يكن أفضل منها.

كما لاحظ الباحث نفسه: أن ترتيل القرآن الكريم حسب القواعد المقررة، يؤدي إلى تنظيم التنفس عبر تعاقب الشهيق والزفير. وبهذه الطريقة يحدث -أيضاً- تخفيف للتوتر.

الصلاة والشعور بالأمن الجماعي

قال الدكتور زهير رابح في كتابه الاستشفاء بالصلاة في الصحيفة ٢٢١-٢٢٢ الذي أصدرته هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة:

(نضرب مثلاً لأثر التعاون على وظائف جسم الإنسان وسلامة أعضائه بسرد ظاهرة رصدت خارج مجتمع مسلم، ولكن دلالة التعاون فيها يوضح أن العلاقات الاجتماعية المتميزة في الإسلام، لا بد وأن يكون لها نفس الأثر الطبي وأكثر.

توجد في أمريكا الشمالية قرية تقل فيها نسبة الأمراض القلبية وأمراض الأعصاب بمقدار النصف مقارنة مع بقية الولايات المتحدة- وإن كانت الحياة مماثلة لبقية البلاد من ناحية الغذاء، والنقل، وسائر المظاهر الإجتماعية، إلاَّ أنه يوجد عامل واحد مختلف هو عامل: المحبة والتآخي بينهم.

فهذه القرية يسكنها مهاجرون من إيطاليا ذوو قرابة، ويوجد فيها شيء من صلة الأرحام. يعيشون في وئام، ونصرة المظلوم، والبذل للفقير، والتزاور والتكافل فيما بينهم. وهذا القدر من المواصفات النسبية الحميدة فطرية عندهم، ومفقودة في باقي المجتمع الأمريكي.

وهذا النوع من الحياة الاجتماعية المتضامنة يعتبر أمراً اعتيادياً وموجوداً بكثرة في المجتمعات الإسلامية بصورة أجمل وأقوى وأكمل.

لذلك كانت الإحصائيات تشير إلى أن أفراد هذه القرية يصابون بنسبة ٥٠٪ أقل من بقية البلاد الأمريكية. وهذا أكبر دليل على أن المحافظة على تماسك النسيج الاجتماعي الذي يدعو إليه الإسلام يؤثر إيجابياً حتى في السلامة من مختلف الأمراض. والصلاة هي السبب الذي يجمع المسلمين في المسجد خمس مرات في اليوم. وهي العبادة التي تضمن التعاون والتآخي والتحابب في الله، وهي الرباط الذي يجعل النسيج الاجتماعي الإسلامي متماسكاً لو أُجريت دراسة مماثلة على بعض المسلمين في مجتمع مماثل لتبين الفرق؛ لشمول هذه الصفات وعمقها عند المسلمين.

تأثير القرآن حتى في نفوس غير العرب

قال صاحب الظلال:

(كنا ستة نفر من المنتسبين للإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عُباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجانب ليس فيهم مسلم. وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة... وقد يسَّرَ لنا قائد السفينة -وكان إنجليزياً- أن نقيم صلاتنا، وسمح لبحارة السفينة وطهاتها وخدمها -وكلهم نوبيون مسلمون- أن يصلي منهم معنا مَن لا يكون في الخدمة وقت الصلاة! وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً؛ إذ كانت المرة الأولى التي تُقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة. وقمتُ بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة، والركاب الأجانب -معظمهم- متحلقون يرقبون صلاتنا!

وبعد الصلاة جاءنا كثيرون منهم يهنئوننا على نجاح القُدّاس!!! فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا!

ولكنَّ سيدةً من هذا الحشد - عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية مسيحية، هاربة من جحيم (تيتو) وشيوعيته - كانت شديدة التأثر والانفعال، تفيض عيناها بالدمع، ولا تتمالك مشاعرها. جاءت تشدّ على أيدينا بحرارة، وتقول - في إنجليزية ضعيفة - إنها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه، وما فيها من خشوع ونظام وروح!..

وليس هذا موضع الشاهد في القصة.. ولكن ذلك كان في قولها: أيُّ لغة هذه التي كان يتحدث بها (فسيسكم)! فالمسكينة لا تتصور أن يقيم (الصلاة) إلا قسيس -أو رجل دين- كما هو الحال عندها في مسيحية الكنيسة! وقد صححنا لها هذا الفهم! وأجبناها.

فقالت:

إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب، وإن كنتُ لم أفهم منه حرفاً..

ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول: ولكن ليس هذا الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه.. إن الموضوع الذي لفتَ حسِّي هو أن الإمام كانت ترد في كلامه - بهذه اللغة الموسيقية- فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه! نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً.. هذه الفقرات الخاصة كانت تُحدثُ فيَّ رعشةً وقشعريرة! إنها شئ آخر! كما لو كان - الإمام -مملوءاً من الروح القدس- حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها- وتفكرنا قليلاً. ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء الخُطبة وفي أثناء الصلاة! وكانت -مع ذلك- مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة، من سيدةٍ لا تفهم مما نقول شيئاً.

من ألوان التناسق العددي في الكلمات القرآنية

ذكر الأستاذ عبد الرزاق نوفل بعض ألوان التناسق العددي في استعمال الكلمات القرآنية. فمن أمثلة ذلك: التوازن والتساوي في عدد ورود كلمات متضادة مثل:

١- وردت كلمتا (الدنيا والآخرة) المتقابلتان في عدد متساوٍ، حيث ذكرت كل منها ١١٥ مرة.

٢- ورد لفظ كل من (الشيطان والملائكة) ٨٨مرة.

٣- ورد لفظ كل من (الحياة والموت) ١٤٥ مرة.

٤- ورد لفظ كل من (النفع والفساد) ٥٠ مرة.

٥- ورد لفظ كل من (الصالحات والسيئات) ١٦٧ مرة.

٦- ورد لفظ كل من (الضيق والطمأنينة) ١٣ مرة.

٧- ورد لفظ كل من (الرغبة والرهبة) ٨ مرات.

الإسلام والعلم

حول طلب العلم

قال علي بن أبي طالب ﷺ لكُميل: يا كُميل، العلمُ خيرٌ من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق. وقال أيضاً:

كل يوم لا أزداد فيه علماً فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم، وليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك.

وقال الأحنف: كل عزّ لم يؤيد بعلم فإلى ذلٍ يصير.

وقال الزبير بن أبي بكر: كتب لي أبي بالعراق: عليك بالعلم؛ فانك إن افتقرت كان لك مالاً، وإن استغنيت كان لك جمالاً.

وقال بعض العلماء: ليت شعري، أي شيء أدركَ مَن فاته العلم، وأي شيء فاته من أدرك العلم؟!

وقيل لبعض العلماء: أي شيء تقتني قال: الأشياء التي إذا غرقت سفينتك سبحت معك، يعني العلم.

وسئل عبد الله بن المبارك: لو أنَّ الله أوحى إليك: تموت العشية فماذا تصنع اليوم؟ فقال: أقوم وأطلب العلم.

وقال معاذ بن جبل ﷺ:

(تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه مَن لا يعلمه صدقه، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين، والنصير على السراء والضراء، والوزير عند الأخِلاّء، والقريب عند القرباء، ومنار سبيل الجنة، يرفعُ الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم، أدلة في الخير تقتفى آثارهم، وترمق أفعالهم، وترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، والسماء

ونجومها..... بـه يُطـاع الله، وبـه يُعبـد، وبـه يوحـد، وبـه يمجـد، وبـه يتـورع، وبـه توصـل الأرحـام، وبـه يُعـرفُ الحـلال والحـرام، وهـو إمـام والعمـل تابعـه، يلهمـه السعداء ويحرمه الأشقياء...).

رواه ابن عبد البر وأبو نعيم والخطيب موقوفاً على معاذ.

أنبل المراتب

قال يحيى بن أكثم: قال هرون الرشيد يوماً: ما أنبل المراتب؟

قلت: يا أمير المؤمنين ما أنتَ فيه.

قال: فتعرف من هو خير مني؟

قلت: لا.

قال: لكني أعرفه، رجل يقول: حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ.

قال: قلتُ يا أمير المؤمنين: أهـذا خير منك وأنت ابن عـم رسـول الله ﷺ، وولي عهد المؤمنين؟

قـال نعـم، ويلـك، هـذا خـير منـي؛ إن إسـمه مقـترن باسـم رسـول الله ﷺ، لا يموت أبداً ونحن نموت، ونفنى والعلماء باقون ما بقي الدهر.

السؤدد

سأل الحجاجُ خالد بن صفوان: مَن سيِّدُ البصرة؟

فقال له: الحسن البصري.

فقال: وكيف وهو مولى؟ أي ليس من قبائل العرب ذوي الحسب.

فقال: أحتاج الناس إليه في دينهم، واستغنى عن النـاس في دنيـاهم، ومـا رأيـتُ أحداً من أشراف أهل البصرة إلا وهو يروم الوصول في حلقته إليـه، يسـتمع قولـه، ويكتب علمه.

قال: هذا والله السؤدد!

من حديث العلماء

نُصحَ أحد الخلفاء برسالة مهمة جاء فيها:

(واعلم أنَّ مواقع العلماء من ملكك مواقع السرج المتألقة والمصابيح المتعلقة، وعلى قدر تعاهدك تبذل من الضياء، وتجلو بنورها صور الأشياء).

وقال أبو الأسود الدؤلي: ليس شئ أعزّ من العلم: الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك.

ولما مات الحسن البصري سنة ١١٠هـ تبع أهل البصرة كلهم جنازته، فلم يبقَ بالمسجد من يصلي العصر، ولم تُترَك صلاة منذ كان الإسلام إلاَّ يومها.

ولما مات علي بن الحسن بن عساكر الحافظ الدمشقي سنة ٥٧١هـ حضر الملك صلاح الدين الأيوبي جنازته بالميدان والصلاة عليه.

أما الخليفة (المعتضد) فكان يطوف يوماً في البستان وهو آخذ بيد ثابت بن قرّة. وقد جذب المعتضد يده فجأة بقوّة؛ فسأله ثابت: ما بدا يا أمير المؤمنين؟

فقال: المعتضد: كانت يدي فوق يدك، والعلم يعلو ولا يُعلى عليه!

وذُكر قطب الدين الشافعي بسوء عند (نور الدين) فقال: لو صحت هذه السيئة، فإنَّ فيه حسنةً تكفرها وهي العلم.

من مواقف العلماء

مما يحرص عليه المؤمن الورع -عالماً أو غير عالم- أن لا يُعين معتدياً على اعتدائه، ولا غاصباً على اغتصابه، ولا ظالماً على ظلمه ولو بشطر كلمة، بل عليه أن ينجد المظلوم، ويغيث الضعيف، ويسعف الملهوف ويردّ المعتدي، فإن لم يستطع فلا أقلَّ من أن يُمسك عن إعانة المعتدين والظالمين والغاصبين. ومن أروع ما روي في هذا الباب ما قيل من أن أبا جعفر المنصور استدعى (عبد الله بن طاووس) و (مالك بن أنس) رضي الله عنهما. فلما دخلا عليه أطرق ساعةً ثم آلتفت إلى عبد الله ابن طاووس وقال له: حَدِّثني عن أبيك طاووس.

فقال عبد الله -مُعَرِّضاً بظلم أبي جعفر-: حَدَّثني أبي: أنَّ أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشرَكَهُ اللهُ تعالى في سلطانه؛ فأدخلَ عليه الجور في حكمه!!

فأمسك أبو جعفر المنصور ساعةً. قال مالك - وقد توقَّعَ أن يأمر المنصور بضرب عنق عبد الله بن طاووس - قال: فضممتُ ثيابي خوفاً أن يصيبني من دمه! ثم قال له المنصور: ناولني تلك الدواة، فلم يفعل!

فقال له: لِمَ لمْ تناولني؟

فقال: أخاف أن تكتب بها معصيةً؛ فأكون قد شاركتك فيها!

فلما سمع المنصور ذلك قال: قوما عني!!

قال ابن طاووس: ذلك ما كنا نبغي!!

وأود أن نقف لحظات أمام هذه الحادثة التي قلَّ مثيلُها في تاريخ الأمم:

إننا نرى المنصور استدعى عبد الله بن طاووس ومالك ابن أنس وهما في القمة علماً وورعاً وقولاً للحق، وذلك كان دأبه -رحمه الله- ولطالما استدعى (الإمام الأوزاعي) و (عمرو بن عبيد) وسواهما وطلب أن ينصحوه ويدلّوه على مواطن الخير، ويبصروه بما قد يكون غَفَلَ عنه أو قصَّرَ فيه من حقوق رعيته! وكان هؤلاء الأئمة -رضوان الله عليهم- يلقون إليه بنصائح تكاد تكون في شدتها صواعق أو كالصواعق؛ فيتقبلها بقبول حسن، ويرجو هؤلاء الأئمة أن يكثروا من زيارته ونصحه، ويكفَّ رجال حاشيته عن معارضتهم والردّ عليهم.

أما قول عبد الله بن طاووس لأبي جعفر: أخاف أن تكتب بها معصية فأكون قد شاركتك فيها!! فهو قول قد لا يحتمله رئيس دائرة متواضعة أو مختار قرية. وقلَّ أو نَدَرَ أن يتقدمّ بمثل هذا القول رجل إلى حاكم صغير. لكنَّ ابن طاووس قال لأبي جعفر الذي عُرِفَ بقوَّة البأس وشدّة البطش وسعة الملك وسرعة الضرب والقتل ما قال.

إن ابن طاووس كان هو وأمثاله من الأئمة القائمين على خدمة دين الله:

يخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله أما أبو جعفر، فما زاد على أن قال لهما: قوما عني! فلم يأمر بقتلهما أو سحبهما أو نفيهما من الأرض. أما ابن طاووس فقد قال (ذلك ما كنا نبغي) أي ذلك الذي كنا نريده أن لا نجالسك! وهي كلمة لا تقلُّ في شدة وقعها على المنصور عن الكلمة الأولى: إني أخاف أن تكتب بها معصية فأكون قد شاركتك فيها!!

ألا ما أحوج المسلمين إلى حكام يقرِّبون الأمين الناصح ويبعدون المنافق المادح!

وما أحوج المسلمين إلى رجال يُبَصِّرون الحكام بمواطن الخطأ، ويوصلون إليهم من أحوال المسلمين ما لا يبلغهم ويجهلونه!!

النهضة العلمية في الأندلس

عُرفت الأندلس (بكثرة علمائها، ووفور أدبائها، وجلالة ملوكها ومحبتهم للعلم وأهله، يعظمون من عظمة علمه، ويرفعون من رَفَعه أدبه)[1].

ولا يكاد العقل البشري يصدّق ضمن محدوديته أنَّ تآليف (ابن حزم) التي ضاع أكثرها قد بلغت أربعمائة مجلد في ثمانين ألف ورقة، وأنّ تآليف (عبد الملك بن حبيب السلمي) في الأندلس المتوفى سنة ٢٣٨هـ وله من العمر ٥٣ سنة قد بلغت ألفاً..

ولقد كانت المكتبات الخاصة في معظم البيوت في (قرطبة) أما العامة في المدن والقرى، فقد بلغ عَددُها في الأندلس أيام الخلافة سبعين مكتبة بالإضافة إلى الحوانيت العديدة، وأسواق بيع الكتب المختلفة..!

ويذكر (ابن حزم) أنَّ عدد الفهارس التي كانت في مكتبة قصر (الحكم الناصر) قد بلغ أربعاً و أربعين فهرسة، كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر

(١) نفح الطيب للمقري ٣/ ١٥٧.

أسماء الدواوين فقط.. وأن عدد الكتب فيها قد بلغ أربعمائة ألف مجلد، وأنهم لمّا نقلوها إلى الموضع الجديد في صرح خاص بها في القصر، أقاموا ستة أشهر في نقلها.

وبالإضافة إلى ما كان في بعض المساجد من مكتبات يستخدمها الطلاب، فقد وجد في كثير من البيوت مكتبات للرجال والنساء، علماء ومتعلمين، حتى إن بعضهم كانت له جماعة من الورَّاقين وغيرهم، ومهمتهم استنساخ تلك الكتب وحفظها وترتيبها.

هذا في الوقت الذي حاول فيه (شارل الخامس) ملك فرنسا الملقب بالحكيم في أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) أن يجمع أكبر عدد من الكتب في بلاده وفي عهده، فلم يستطِع أن يجمع أكثر من تسعمائة مجلد، كثير منها خاص بعلم اللاهوت[1]!!!

فتوى في السياسة المالية

لمّا خرج الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام اخذ ينادي العلماء بأنه يجوز له أخذ مالٍ من الرعية ليستنفر به على قتال العدو. فكتب له فقهاء الشام بذلك إلا الشيخ محي الدين النووي. ولما طلبه الأمير وحضر قال له: أكتب خطك مع الفقهاء فأمتنع. فقال له: ما سبب امتناعك؟

قال الشيخ: أنا أعرف أنك كنتَ في الرق للأمير (نيدقدار) وليس لك مال، ثم منَّ الله عليك وجعلك ملكاً، وعلمتُ أنَّ عندك ألفَ مملوك، وكل مملوك له حياصة من الذهب، وعندك مائتا جارية، لكل جارية حقٌّ من الحلي، فإذا أنفقتَ ذلك كلَّه أُفتيك بأخذ المال من الرعية.!

فغضب الظاهر من كلامه وقال له: اخرج من بلدي -يعني دمشق- فقال: السمع والطاعة. وخرج إلى (نوى) فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا

(١) حضارة العرب تأليف غوستاف لوبون ص٤٣٤.

وصلحائنا وممن يُقتدى به فأعدهُ إلى دمشق؛ فأمر برجوعه؛ فامتنع وقال: لا أدخلها والظاهر بها، فمات الظاهر بعد شهر.

سجين يدرس

أعتقل أحمد بن طولون بكارَ بن قتيبة لامتناعه عن لعن الموفق ووضعه في السجن، حتى بقي فيه مدة سنتين، ولكنَّ بكاراً ظلَّ يُحَدِّث وهو في السجن، فقد كان تلاميذه ومريدوه يجتمعون حول طاق بالحجرة التي سجن فيها، وكان يقف إلى هذه الطاق ليلقي خلالها درسه.

سعادة الدنيا والآخرة

خرج أسد بن الفرات أميراً لأسطول بحري كبير لفتح صقلية وكان فقيهاً وعالماً. فلما رأى الجموع المشيّعة له بين يديه وخلفه وعن يمينه وعن شماله قال:

(لا إله إلا الله وحده لا شريك له).

ثم قال: يا معشر المسلمين، ما ولي لي أب ولا جد ولاية قط، وما رأيت ما ترون إلاَّ بالأقلام -أي بالعلم -، فأجهدوا أنفسكم وأتعبوا أبدانكم في طلب العلم وتدوينه، وكاثروا عليه واصبروا في شدته؛ فإنكم تنالون به الدنيا والآخرة.

بنان وابن طولون

ذكر ابن كثير في تاريخه (البداية والنهاية)، وابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب) أن أبا الحسن بنان بن محمد المعروف بالحمال أنكر يوماً على ابن طولون شيئاً من المنكرات؛ فأمَرَ به ابن طولون؛ فألقي بين يدي الأسد ليعدمه الحياة، ولكن الأسد قد أقبل على بنان يشمه ويحجم عنه، فأخذ الأمير العجب، وأمَرَ برفعه من بين يدي الأسد، وأقبل يعظمه ويوقره ويعتذر إليه! وقد قيل لبنان عندما أُخرِجَ من بين يدي الأسد: ما الذي كان في قلبك حين شمَّكَ الأسد؟ قال: كنتُ أتفكرُ في اختلاف الناس في سؤر السباع ولعابها: هل هو طاهر أم نجس؟!!!

التأدب مع العلماء

قال الإمام الشافعي ﷺ: كنتُ أُصفحُ الورقةَ بين يَدَي مالكٍ صفحاً رفيقاً، هيبةً له؛ لئلا يسمع وقعها.

وقال الربيع: واللهِ ما اجترأتُ أن أشربَ الماء والشافعي ينظر إلي؛ هيبةً له.

وقال الحاكم النيسابوري: سمعتُ أحمد بن إسحق الفقيه يقول:

ما رأيتُ في المحدثين أهيب من إبراهيم بن أبي طالب: كنا نجلس كأن على رؤوسنا الطير.

لحوم العلماء مسمومة

قال الإمام ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري) في الصفحتين ٢٩-٣٠:

(إعلم -يا أخي- وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أنَّ لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم -بما هم منه براء- أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق على من اختاره الله منهم لنعش العلم خُلُقٌ ذميم، والارتكاب لنهي النبي ﷺ عن الاغتياب جسيم:

(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنةٌ أو يصيبهم عذاب أليم)).

من روائع القضاء الإسلامي

إرساء قواعد العدالة

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما- :

(... أما بعد: فإنَّ القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك الخصم، وأنفذ إذا تبيَّنَ لك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له.

آسِ بين الناس في مجلسك ووجهك وعدلك؛ حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يخاف ضعيف من جورك.

البيِّنة على مَن ادعى واليمين على مَن أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلاَّ صلحاً أحلَّ حراماً أو حرَّم حلالاً، ولا يمنعك قضاء قضيتَه بالأمس، ثم راجعتَ فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإنَّ الحق قديم لا يبطله شيء، والرجوع إليهِ خير من التمادي على الباطل.

الفهم، الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك به كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ، واعرف الأمثال والأشباه، وقس الأمور عند ذلك، ثم اعمد إلى أحبها عند الله ورسوله وأشبهها بالحق.

واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بينته أخذت له بحقه، وإلاَّ وجهتَ عليه القضاء، فإنَّ ذلك أجلى للعمى وأبلغ في العذر وأنفى للشك.

والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد، أو مجرَّباً عليه شهادة زور، أو ظنيناً في ولاء أو قرابة أو نسب؛ فإن الله ﷻ تولى منكم السرائر، ودرأ عنكم بالبينات والأيمان.

ثم إياك والتأذي بالناس، والتنكر للخصوم في مواطن الحقوق التي يوجب اللهُ ﷻ بها الأجر، ويحسن بها الذخر؛ فأنه مَن تَخلص نيته فيما بينه وبين الله -ولو على نفسه- يكفيه الله ما بينه وبين الناس، ومَن تزين للناس فيما يعلم الله خلافه منه، هتك الله ستره).

إنما ذاك شيء لله

قال جعد بن هبيرة لسيدنا علي بن أبي طالب ﷺ:

يا أمير المؤمنين، يأتيك الرجلان، أنت أحب إلى أحدهما من أهله وماله، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك فتقضي لهذا على هذا؟!!

قال: فلهزه عليٌّ وقال: إنَّ هذا شيء لو كان لي لفعلت، ولكن إنما ذاك شيء لله.

السلطان يحكم ولا يشهد

شهد الملك الكامل -وهو في دست ملكه- عند ابن عين الدولة قاضي مصر فقال القاضي: السلطان يحكم ولا يشهد. فأعاد الملك عليه القول وأعاد القاضي الرد. فلما زاد الأمر وفهم الملك أنه لا يقبل شهادته قال له: أنا أشهد أتقبلني أم لا؟

فقال القاضي: لا، ما أَقبلُك، وكيف أقبلك و (عجيبة) تطلع إليك بجنكها كل ليلة وتنزل في اليوم الثاني وهي تتمايل على أيدي الجواري ويدي وزيرك؟! وكانت (عجيبة) هذه مغنية أولع بها الملك، فكانت تحضر إليه ليلاً، وتغنيه بالجنك على الدفاف في مجلس يحضره وزيره.

فلما سمع الملك ردَّ القاضي اشتعل غضباً وقال له: يا كيواج- وهي كلمة شتم بالفارسية- فقال القاضي: ما في الشرع يا كيواج، اشهدوا عليَّ أني قد عزلتُ نفسي، ونهض. فقام الوزيرُ وأقنع الملك الكامل بإرضاء القاضي وإعادته للقضاء حتى لا يقال: لأي شئ عَزَل نفسه؟ وتطير الأخبار إلى الخليفة في بغداد، ويشيع أمر عجيبة. فنهض إلى القاضي وأخذ يعتذر إليه ويترضاه حتى عاد للقضاء.

لا مكان للوساطة

لما ولي توبة بن نمر القضاء دعا امرأته (عفيرة) فقال لها: يا أُمَّ محمد، أيّ صاحب كنتُ لك؟

قالت: خير صاحب وأكرمه.

قال: فأسمعي: لا تعرضنَّ لي في شئ من القضاء، ولا تذكرني بخصم، ولا تسألني عن حكومة، فإن فعلت شيئاً من هذا فأنت طالق، فأما أن تقيمي مكرَّمة، وأما أن تذهبي ذميمة. فانتقلت عنه فلم تكن تأتيه إلاَّ في الشهر والشهرين.

يحكم لليهودي على المسلم

أخرج الإمام مالك عن سعيد بن المسيب أن مسلماً ويهودياً اختصما إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فرأى الحق لليهودي، فقضى له عمر به.

فقال له اليهودي: والله لقد قضيتَ بالحق.

فضربه عمر بالدِّرَّة وقال: وما يدريك؟

فقال اليهودي: والله إنّا نجد في التوراة: ليس قاضٍ يقضي بالحق إلا كان عن يمينه مَلَكٌ وعن شماله مَلَك يسدِّدانه ويوفقانه للحق ما دام مع الحق، فإذا تَرَكَ الحق عَرَجا وتركاه.

من تاريخ القضاة

١- حكم ابن بشير -قاضي قرطبة- على الخليفة عبد الرحمن الناصر في قضية رفعها عليه أحد المستضعفين من الرعية، وأبلغ الخليفة الحكم مقروناً بالتهديد بالاستقالة من القضاء إذا لم يسلم للحكم ويبادر على تنفيذه.

٢- حكم القاضي محمد بن عبد الرحمن الاوقص في قضية ضدَّ الخليفة المهدي العباسي، وذلك عندما اخذ الخليفة المهدي داراً لعبد الله بن جدعان كانت وقفاً لآل أبي مليكة، فاشتكوا الخليفة عند القاضي الذي حكم لصالحهم ضد الخليفة الذي اضطرَّ إلى شرائها منهم.

٣- ذكر الإمام السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء في الصفحتين ٢٤٧-٢٤٨: أنَّ الخليفة المعتضد وجَّهَ إلى القاضي أبي حازم كتاباً يقول فيه: إنَّ لي على فلان مالاً، وقد بلغني أن غرماءه أثبتوا عندك، وقد قسطت لهم من ماله، فاجعلنا كأحدهم. فردَّ

القاضي قول الخليفة قائلاً:

يا أمير المؤمنين، إن الأمر قد خرج من عنقك، وأصبح في عنقي، ولا يجوز لي أن أحكم في مال رجل لمدّعٍ إلا ببينة. ولم يجعل (القاضي) له شيئاً؛ لأن الخليفة لم يقدم البينة.

٤- ذكر السيوطي في كتابه (تاريخ الخلفاء) في الصفحتين ٢٦٧-٢٦٨ أن قائد الجيش طلب من عضد الدولة أن يشفع له عند القاضي في قبول شهادته لبعض الناس؛ فقال له عضد الدولة محترماً رأي القاضي وسلطته:

ليس هذا من أشغالك، إنما الذي يتعلق بك هو الخطاب في زيادة قائد، ونقل جندي، وما يتعلق بذلك، وأما الشهادة وقبولها، فهو إلى القاضي، وليس لنا ولا لك الكلام فيه.

يرفض القضاء فيقيم الأمير عليه الحجة

ذكروا أن الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، أرسل إلى عيسى بن مسكين أحد الفقهاء بالقيروان- وكان معروفاً بزهده بالمناصب وإعراضه عن ولاية القضاء- فأحضره وقال له:

ما تقول في رجل جمَع خلالَ الخير، أردتُ أن أُوليه القضاء، وأُلمَ به شَعَثَ هذه الأمة فامتنع؟

قال له عيسى بن مسكين: يلزمه أن يلي.

قال: تمنَّع.

قال: تجبره على ذلك بجلد.

قال: قُم، فأنت هو.

قال: ما أنا بالذي وصفت. وتمنَّع.. لكنهم أخذوا بمجامع ثيابه، وقربوا السيف من نحره؛ فتقدّم لها بعد أمر خطير.

أبو حنيفة والقضاء

عرض أبو جعفر المنصور منصب القضاء على الإمام أبي حنيفة - رحمه الله-، لكنه أبى وقال له: لا أصلح لذلك.

فقال له المنصور: كذبت أنت تصلح لذلك.

فقال: يا أمير المؤمنين، قد حكمتَ على نفسك: إن كنتُ صادقاً فقد أخبرتُ أميرَ المؤمنين أني لا أصلح، وإن كنتُ كاذباً، فكيف يحلُّ لك أن تولي قاضياً كذاباً؟

من روائع القضاء

أخرج ابن عساكر عن عبد الله بن صالح قال:

كتب المنصور إلى سوار بن عبد الله قاضي البصرة: انظر الأرض التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر، فأدفعها إلى القائد.

فكتب إليه سوار: إن البينة قد قامت عندي أنها للتاجر، فلستُ أُخرجها من يده إلا ببينة.

فكتب إليه المنصور: والله الذي لا إله إلا هو، لتدفعنَّها إلى القائد.

فكتب إليه سوار: والله الَذي لا إله إلا هو، لا أخرجتها من يد التاجر إلا بحق.

فلما جاءه الكتاب قال: ملأتها -والله- عدلاً، وصار قضاتي تردُّني إلى الحق.

بين القاضي شريح وولده

حدّث الشعبي أن ابناً لشريح القاضي قال لأبيه: إن بيني وبين قوم خصومة فانظر: إن كان الحق لي خاصمت، وإن لم يكن لي الحق لم أُخاصم، وقصَّ قصته على والده. فقال شريح: انطلق فخاصم.

فانطلق إليهم فتخاصموا إلى شريح، فجعل الحق لمن خاصمهم ولده.

فقال له لما رجع إلى أهله: والله، لو لم أتقدَّم إليك لم ألمك.

فقال: والله يا بُني، لأَنتَ أحبُّ إليَّ من ملء الأرض مثلهم، ولكنَّ الله أعزُّ عليَّ منك: خشيتُ أن أُخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم ببعض حقهم.

من وصايا الحكماء

من حِكَم أبي بكر الصديق ﷺ

١- صنائعُ المعروف تقي مصارع السوء.

٢- ليست مع العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة.

٣- ثلاث مَن كنَّ فيه كنَّ عليه: البغي والنكث والمكر.

٤- كثير القول يُنسي بعضه بعضاً، وإنما لك ما وعيَ عنك.

٥- أصلح نفسك يصلح لك الناس.

من حِكَم عمر بن الخطاب ﷺ

١- من كتم سرّه كان الخيار في يده.

٢- أشقى الولاة من شقيت به رعيته.

٣- مَن لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه.

٤- أعقلُ الناس أعذرهم للناس.

٥- لا تؤخر عمل يومك إلى غدك.

من حِكَم عثمان بن عفان ﷺ

١- إن الله ليزعُ بالسلطان مالا يزعُ بالقرآن.

٢- أنتم إلى إمام فعَّال أحوج منكم إلى إمام قوّال.

٣- يكفيك من الحاسد انه يغتم وقت سرورك.

من حِكَم علي بن أبي طالب ﷺ

١- الناسُ أعداء ما جهلوا.

٢- إذا قدرتَ على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه.

٣- المرءُ مخبوء تحت لسانه.

٤- استغن عمن شئت تكن نظيره، وأحتج إلى من شئت تكن أسيره، واحسن إلى مَن شئت تكن أميره.

٥- ما هلك أمرؤٌ عرفَ قدره.

٦- قلب الأحمق وراء لسانه، ولسانُ العاقل وراء قلبه.

٧- الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو.

لقمان الحكيم يوصي ولده

يا بني! لتكن ذنوبك بين عينيك، وعملك من خلف ظهرك. فرَّ من ذنوبك إلى الله، ولا تستكثر عملك.

يا بني! إذا رأيت الخاطئ فلا تعيرهُ، واذكر ذنوبك؛ فإنما تُسال عن عملك.

يا بني! أطع الله؛ فإنه مَن أطاع الله كفاه ما أهمّه، وعصمه من خلقه.

يا بني! لا تضيِّع مالك وتصلح مال غيرك؛ فإنَّ مالَكَ ما قدّمتَ لنفسك، ومالَ غيرك ما تركت وراء ظهرك.

يا بني! اقبل الموعظة وإن اشتدّت عليك. وَيلٌ لمن سمع فلم ينفعه السمع! وَيلٌ لمن علم فلم ينفعه العلم! ويل لمن تبيَّن له فاستحب العمى على الهدى! وطوبى لمن انتفع بعلمه واستمع القول فاتبع أحسنه!

يا بني! إذا أنعَمَ الله عليك نعمةً فَلْيُرَ أثرُها عليك في شكرك وتواضعك وإحسانك إلى مَن هو دونك!

يا بني! أداء صلاتك التي فُرضت عليك أفضلُ من كل ما تعمل، فإنَّ مَثَلَ الصلاة والتسبيح مَثَل السفينة في البحر: إن سَلِمت سَلِمَ من فيها، وإن هلَكت هلك مَن فيها.

يا بني! جالس قوماً يذكرون الله: فإن كنتَ عالماً نَفَعك علمك، وإن كنتَ جاهلاً علَّموك، وإن نزلت عليهم رحمةٌ أو رزق شركتهم فيه.

يا بني لا تجالس قوماً لا يذكرون الله، فإن كنتَ جاهلاً زادوك، وإن كنتَ عالماً لم ينفعك علمُك شيئاً، وإن نزلت عليهم لعنة أو سخطة شركتهم فيها.

يا بني! إن غلبتَ على الكلام فلا تُغلَبنَّ على السكوت، وكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول.

من وصايا الأمهات

١- أوصت امرأة ولدها -وقد أراد سفراً- فقالت:

يا بني، أوصيك بتقوى الله، فإنَّ قليلها أجدى عليك من كثير عقلك، وإياك والنمائم، فإنها تزرع الضغائن، وتفرِّق بين المحبين؛ ومثِّل لنفسك ما تستحسنه من غيرك مثالاً، ثم اتخذه إماماً، وأعلم انه مَن جمع بين الحياء والسخاء فقد أستجاد الحُلَّةَ إزارها ورداءها.

٢- قال الأوقص المخزومي قاضي مكة:

قالت لي أمي: يابني إنك خلقت خلقةً لا تصلح معها لمجامعة الفتيان في بيوت القيان. إنك لا تكون مع أحد إلاَّ تخطتك إليه العيون، فعليك بالدين؛ فإنه يرفع الخسيسة، ويُتمُّ النقيصة.

قال: فنفعني الله بكلامها، فبلغتُ القضاء.

٣- أوصت امرأة من السلف أولادها فقالت لهم.

تعوّدوا حب الله وطاعته، فإن المتقين ألفوا بالطاعة فاستوحشت جوارحهم من غيرها، فإن عرض لهم الملعون بمعصية مرّت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون.

٤- قال العُتبي: سمعتُ أعرابية توصي ابناً لها فقالت:

عليك بحفظ السر، وإياك والنميمة، فإنها لا تترك مودةً إلاَّ أفسدتها، ولا ضغينةً إلاَّ أوقدتها.

٥- أوصت أعرابية ابنتها عند زفافها فقالت:

أي بنيّة، إنك فارقتِ الجوَّ الذي منه خرجت وخلقت، والعش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه؛ فاحملي عني عشر خصال تكن لك ذخراً:

اصحبيه بالقناعة، وعاشريه بحسن السمع والطاعة، وتعهدي موقع عينيه: فلا تقع عينه منك على قبيح، ثم اعرفي وقت طعامه، واهدئي عند منامه؛ فإن حرارة الجوّ ملهبة، وتنغيص النوم مبغضة، ثم اتقي -مع ذلك- الفرح أمامه إن كان

ترحاً، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً؛ فإنَّ الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشدَّ الناس له إعظاماً يكن أشدَّهم لك إكراماً، وأعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك! فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك!.

٦- وقف أبان بن تغلب على أعرابية توصي ولدها المسافر قالت:

أي بني، قف أمنحك وصيتي وبالله التوفيق.

أي بني، إياك والنميمة؛ فأنها تزرع الضغينة، وتفرَّق بين المحبين. وإياك والتعرض للعيوب؛ فتتخذ غرضاً، وخليق ألاَّ يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلَّما اعتورت السهام غرضاً إلاَّ كَلَمته، حتى يتهيأ ما اشتدّ من قوته.

وإياك والجودَ بدينك والبخل بمالك. وإذا هززتَ فاهزز كريماً يلن لهزتك، ولا تهزز لئيماً؛ فإنه صخرةٌ لا ينفجر ماؤها. ومثل لنفسك مثال ما استحسنتَ من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه؛ فإنَّ المرء لا يرى عيبَ نفسه.

من حكمة العرب

من كلام قيس بن سعيد بن تميم:

لا خير في لذة تعقب نَدَماً.

لن يفتقر مَن زهد.

اقبلوا عذرَ من اعتذر.

أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك.

أنفق في الحق، ولا تكوننَّ خازناً لغيرك.

عجبتُ لمن يتكبر وقد خرج من مخرج البول مرَّتين.

ما نازعني أحد إلا وأخذتُ في أمره بثلاث: إن كان فوقي عرفتُ له فضله، وإن كان دوني رفعتُ قدري عنه، وإن كان مثلي تفضلتُ عليه.

لا تحزن

لا تحزن.. إن كنتَ فقيراً فغيرك محبوس في دين، وإن كنت لا تملك وسيلةَ نقل فسواك مبتور القدمين، وإن كنت تشكو من آلام، فسواك على الأسرَّة البيضاء ومنذ سنوات. وإن فقدتَ ولداً فسواك فَقَدَ عدداً من الأولاد.

لا تحزن.. لأنك مسلم أمنت بالله وبرسوله وملائكته واليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشرِّه.

لا تحزن.. إن أذنبتَ فتب، وإن أسأتَ فاستغفر، وإن أخطأت فأصلح، فالرحمة واسعة، والباب مفتوح، والتوبة مقبولة بشروطها.

لا تحزن.. لأنك تقلق أعصابك، وتهز كيانك، وتتعب قلبك، وتقضّ مضجعك، وتسهر ليلك:

ولرب نازلةٍ يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتُها فُرِجَت وكان يظنها لا تفرج

لا تحزن.. فإن أموالك التي في خزائنك وقصورك السامقة وبساتينك الخضراء مع الحزن والأسى واليأس زيادة في أسفك وهمك وغمك.

لا تحزن.. وأنت تملك الدعاء، وتجيد الإنطراح على عتبات الربوبية وتحسن المسكنة على أبواب ملك الملوك.

لا تحزن.. فإن المرض يزول، والذنب يغفر، والدَّين يقضى والمحبوس يفك، والغائب يقدم، والعاصي يتوب، والفقير يغنى.

لا تحزن.. لا تحزن ما دمت تقرأ هذه الكلمات، فإن العافية لا يعدلها شيء.

حِكَم

دخل محمد بن الهضيم على بشر بن الحارث فقال: عظني: قال:

إن في هذه الدار نملة تجمع الحب في الصيف لتأكله في الشتاء. فلما كان يوم أخذت حبة في فمها. فجاء عصفور فأخذها هي والحبة معاً: فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت.

وقال عبد الله بن شبرمة: عجبتُ لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء، كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار.

وقال رجل لبكر بن عبد الله: علمني التواضع؛ فقال: إذا رأيتَ مَن هو أكبرُ سناً منك فقل: سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح، فهو خير مني، وإن رأيت مَن هو أصغر منك سناً فقل: سبقتُهُ إلى الذنوب فهو خير مني.

مع أُوَيس القرني

مرَّ رجل من قبيلة مراد بأُوَيس القَرَني -رحمه الله- فقال له:

كيف أصبحتَ يا أُوَيس؟

قال: أصبحتُ أحمد الله.

قال: كيف الزمان عليك؟

قال: يا أخا مراد، إن الزمانَ وذكرَه لم يَدع لمؤمن فَرَحاً، وإنَّ علمه بكتاب الله لم يَدَع في ماله فضةً ولا ذهباً، وإنَّ قيامه بالحق لم يَدَع له صديقاً.

فقال الرجل: حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ.

قال: يا أخا مراد، ما شهدتُ رسول الله ﷺ فأحدثَكَ عنه، ولكن افعلوا كما قال لكم رسول الله ﷺ:

(حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإن الله جعل الدنيا قنطرة للآخرة فأعتبروها).

يرحم الله أويساً ويرضى عنه! لقد كان الناس في زمانه ﴿قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾﴾.

ولو يحاسبُ الناسُ أنفسَهم قبل أن يحاسبوا ويخلعوا عنهم ثياب الغفلة، لعشنا اسعدَ الناس، ولحسدتنا الأمم، ولفرح لنا الصديق، وَلعُدنا نقودُ الدنيا ولا نُقاد!

مع مَلكِ النوبة

قال الإمام الغزالي في كتاب مقامات العلماء في الصفحتين ٧٤-٧٥:

روي عن الربيع حاجب المنصور ومولاه قال: كنت يوماً عند المنصور، وعنده جماعة من أعمامه فقالوا: إنَّ في حبسك عبد الله بن مروان، فإن رأيت أن تبعث إليه وتسأله عن كلام جرى بينه وبين ملك النوبة فعلت.

قال: فبعَث إليه وقصَّ عليه الحديث وأدنى مجلسه وقال:

حدثني بكلام جرى بينك وبين ملك النوبة.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنا كنا قوماً ملوكاً، فلما انقضت عنا المدة أمرت بالمتاع، فصير بالمركب، فإعتام بنا الموج شهراً، ثم صيرنا إلى جزيرة النوبة، فأمرتُ بالمضارب فضربت، فأقبلت النوبة ينظرون إلى متاعنا ويتعجبون من حسنه، وأقبل مَلِك النوبة، فإذا هو رجل طويل اصلع حاف، عليه كساء، وقد اشتمل به؛ فسلمَ وجلس على الأرض، ولم يجلس على بساطي.

فقلت: لمَ تركتَ الجلوس على بساطي؟

قال: لأني مَلِك، وحق لمن رفعه الله أن يتواضع لله إذا رفعه.

قال: ثم صَوّب نظره في وجهي وصعَّده وقال: ما بالكم تطؤون الزرع بدوابكم، والفساد محرَّمٌ عليكم في كتابكم؟

قلت: عبيدنا وأشياعنا فعلوا ذلك بالجهل منهم.

قال: فما بالكم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم؟

قلت: عبيدنا وأتباعنا فعلوا ذلك بالجهل منهم.

قال: فما بالكم تلبسون الحرير والديباج، وتتحلون بالذهب والفضة، وهو محرم عليكم؟

قلت: إنا كنا ملوكاً، فلما انقضت بنا المدة استعنَّا بأعاجم دخلوا في ديننا، وكرهنا الخلاف عليهم.

قال: ليس والله يا ابن مروان الأمر كما تزعم، ولكنكم ملكتم فظلمتم، وتركتم ما أمرتم به؛ فأذاقكم الله وبال أمركم، ولله فيكم بقية لم تبلغ، وإني لأخشى أن تنزل بك مصيبة وأنت ضيفي وعلى بساطي فتصيبني، فأرتحل عني.

قال: فتزودت وارتحلت عنه!

المظهر والمخبر

جاء رجل يشهد عند عمر بن الخطاب ﷺ لرجل آخر بأنه عدل ومستقيم، فجرت بين عمر والشاهد المحاورة الآتية:

عمر: أتعرف هذا الرجل؟

الشاهد:نعم.

عمر: هل أنت جاره الذي يعرف مدخله ومخرجه؟

الشاهد: لا.

عمر: هل صاحبته في السفر الذي تُعرَفُ به مكارم الأخلاق؟

الشاهد: لا.

عمر: هل عاملته بالدينار والدرهم الذي يُعرَف به ورع الرجل؟

الشاهد: لا.

فصاح به عمر قائلاً:

عمر: لعلك رأيته قائماً قاعداً يصلي في المسجد، يرفع رأسه تارة ويخفضه تارة أخرى؟

الشاهد: نعم.

عمر: اذهب فإنك لا تعرفه.

والتفت عمر إلى الرجل وقال له:

عمر: أئتني بمن يعرفك.

فلم ينخدع سيدنا عمر بمظهر الصلاح وشكلية العبادة، وإنما عرف الحقيقة بموازين صحيحة كشفت عن حال الرجل، ودللت على سلوكيته وأخلاقه.

نعمة العقل

لما تولَّى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر العراق، وقف ذات يوم على المنبر يخطب الناس، فأطال في خطبته، فقام شاب من الحاضرين وقال له:

أيها الأمير! إن الصلاة لا تنتظرك، والرب لا يعذرك! فأمر بالقبض عليه وإدخاله في السجن! وخشي أهل الفتى على فتاهم من بطش الحجاج؛ فذهبوا إليه وقالوا له:

أيها الأمير! إنَّ فتانا تعتريه من حين لآخر لوثة يختلط فيها عقله، فلا يدري ما يقول وما يفعل!

فقال لهم: إن ثَبَتَ هذا أطلقتُ سراحه!

وسعى أهل الفتى إلى السجان وقالوا لفتاهم:

إذا سألك الأمير فقل له إني كذلك، فردَّ عليهم غاضباً:

محال أن أُلقي عني نعمةَ العقل التي منَّ الله عليَّ بها خوف بطش الحجاج!!

وسمع حارس السجن الحديث فبلَّغه إلى الأمير، فاستدعى الفتى وقال له:

إنك لشجاع مقدام. وأدخله ضمن عماله!!

عظة وجيزة

قال عمر بن عبد العزيز لخالد بن صفوان: عظني وأوجز..

فقال خالد: يا أمير المؤمنين، إنَّ أقواماً غَرّهم سَترُ الله، وَفَتَنَهم حُسنُ الثناء؛ فلا يغلبن جهل غيرك بك علمَكَ بنفسك. أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعمَّا افترض الله علينا متخلفين ومقصرين، وإلى الأهواء مائلين..

فبكى عمر ثم قال: (أعاذنا الله وإياك من إتباع الهوى).

من أقوال أبي الدرداء

(إذا اصبح الرجل اجتمع هواه وعمله: فإن كان عمله تبعاً لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان هواه تبعاً لعمله فيومه يوم صالح).

وقال:

(تفكرُ ساعة خير من قيام أربعين ليلة! ومثقال ذرة من برٍ مع تقوى ويقين أفضل وأعظم وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المقرَّبين)!.

وقد سئلت أم الدرداء: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت: التفكر والاعتبار)[1].

وقال:

(لا تبغض من أخيك المسلم إذا عصى إلا عمله، فإن تركه فهو أخوك)[2].

وهذا من تمام الفقه بشريعة الله؛ فإن الله تعالى أمَرَ رسوله ﷺ أن يتبرأ من العصاة بقوله: (فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون). أمره أن يتبرأ من أعمالهم لا منهم أنفسهم. فهل فَهِمَ بعض المتنطعين هذا؟

وقال:

(إذا تغيَّرَ أخوك واعوجَ فلا تتركه، فإن الأخ يعوجُّ تارة ويستقيم أخرى).

موعظة وجيزة

خطب الحسن البصري يوماً فقال:

(يا ابن آدم، طأ الأرض بقدمك؛ فإنها عما قليل قبرك. وأعلم أنك لم تَزَل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك. فرحم الله رجلاً نظر فتفكر، وتفكر فاعتبر، واعتبر فابصر، وأبصر فصبر).

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٠٨.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٠٩.

الإيجاز في الخطبة

قال ابن السماك -بعد خطبة طويلة- لجارية كانت تستمع إليه:

كيف سمعتِ كلامي؟

قالت: ما أحسنه لولا أنك تكثر ترداده.

فقال: أردتُ أن يفهمه من لا يفهمه.

فقالت: إلى أن يفهمه من لا يفهمه، يكون قد ملَّه مَن فهمه.

مع الشعر الإسلامي

عندما يئن العفاف

عبد الرحمن صالح العشماوي

صرخة مسلمة من بلاد البوسنة والهرسك

أطــرقت حتــى ملّنــي الإطــراقُ ... وبكيــتُ حتــى احمــرَّت الأحــداقُ

سامرتُ نجمَ الليل حتى غاب عن ... عينــي، وهــدَّ عزيمتــي الإرهــاق

يــأتي الظــلامُ وتنجلــي أطــرافُه ... عنــا، ومــا للنــوم فيــه مــذاق

سَــهَرٌ يــؤرقني ففــي قلبــي الأســى ... يغــلي، وفي أهدابــي الحــراق

ســيانَ عنــدي ليلُنــا ونهــارُنا ... فــالموجُ فــي بحريهمــا دفَّــاق

قتــلٌ وتشــريدٌ وَهَتــكُ محــارمٍ ... فينــا، وكــأس الحادثــات دهــاق

أنــا قصــة صــاغَ الأنيــنُ حروفهــا ... ولهــا مــن الألــم الــدفين ســياق

أنــا -أيــها الأحبــابُ- مســلمةٌ لهــا ... قلــبٌ إلــى شــرع الهــدى تــوَّاق

دَفَــنَ الشــيوعيون نبــع كرامتــي ... دَهــراً وطــارت حــولي الأطبــاق

حتــى إذا انكشــف الغطــاءُ وغــرَّدت ... آمــالنا، وبــدا لنــا الإشــراق

وَقَف الصليبُ على الطريق فلا تَسَلْ ... عمــا جنــاه القتــلُ والإحــراق

وحشــيةٌ يقــفُ الخيــالُ أمامــها ... متضــائلاً وتمجُّــها الأذواق

أطفــالنا نامــوا علــى أحلامهــم ... وعلــى لهيــب القاذفــاتِ أفاقــوا

يبكــون، كَــلاَّ، بــل بكــت أعماقهــم ... ولقــد تجــودُ بــدمعها الأعمــاق

أطفالنــا بيعــوا وأوربــا التــي ... تَشــري، ففيهــا راجــت الأســواق

أيــن النظــام العــالميُّ أمَــا لــه ... أَثَــرٌ، ألم تنعــق بــه الأبــواق؟

أيــن الســلامُ العــالميُّ لقــد بــدا ... كَــذِبُ الســلام، وزاغــت الأحــداق

يــا مجلــسَ الخــوفِ الــذي فــي ظلــه ... كُسِــرَ الأمــان، وضُــيعَ الميثــاق

أوَمَـا يحركُـكَ الـذي يجـري لنـا ... أوَمـا يُثـيركَ جرحنـا الدفّـاق؟
يُعفـى عـن الصـرب الـذين تجـبَّروا ... وَطَغَـوا، ويُفَـردُ بالعقـاب عـراق؟!
هـذا وربِّـك شرّ مـا سـمعت بـه ... أُذنٌ ومـا كتبـت بـه الأوراق
سَـرجُ العدالـةِ مـال فـوق حصـانها ... ولـوى العنـان إلـى الـوراء نفـاق
كُشِـفَ السـتارُ وبـان كُـلُّ مُخَبَّـأ ... فإلـى متـى تتطـامَنُ الأعنـاق
أنـا -أيهـا الأحبـاب- مسلمةٌ طـوى ... أحـلامها الأوبـاشُ والفُسَّـاق
أخـذوا صـغيري وهـو يرفـع صـوته ... أُمِّـي وفـي نظـراته إشـفاق
وَلَـدي، ويَسـفعني الـدعيُّ ويكتـوي ... قلبـي، ويحكـم بابـي الإغـلاق
وَلَـدي، وتبلغنـي بقايـا صـرخةٍ ... مخنـوقةٍ، ويُقَهقَـهُ الأفَّـاق
ويجرُّنـي وَغـدٌ إلـى سـردابه ... قسـراً، وتظـلم حـولي الآفـاق
أنـا لا أُريـدُ طعـامكم وشـرابكم ... فـدمي هنـا -يـا مسـلمون- يُـراق
عرضـي يُـدَنَّسُ أيـن شـيمتكم أمـا ... فيكـم أبـيٌ قلبـهُ خفَّـاق؟!
أُختـاه أُمتنـا التـي تدعونـها ... صـارت عـلى درب الخضـوع تُساق
إن كنـتِ تنتظـرينها فسـينتهي ... نَفَـقٌ، وتأتـي بـعدَه أنفـاق
مُـدِّي إلـى الـرحمن كـفَّ تضـرُّعٍ ... فَلَسَـوف يرفـعُ شـأنَكِ الخـلاَّق
لا تيأسـي؛ فأمـامَ قـدرة ربِّنـا ... تتضـاءلُ الأنسـاب والأعـراق

باسم الشعب

شعر: يوسف العظم

كم قد عَلَت في سماء المجد رايات ... ورفرفت في رحاب الخير آيات
وكم سقينا عطاشى الروح من ظمأ ... وعلمنا لجياع العقل أقوات
وكانت الأرض بالطغيان مظلمةً ... فجاءها ديننا بالعدل مشكاة
ودولة الحقِّ بالإسلام تحكمنا ... واليوم تحكمنا -ظلماً- دويلات
يمضي بنا العمر في لهو وفي عَبَثٍ ... والعمر رغم امتداد العمر ساعات
الزقُّ والرق والمزمار عدتنا ... والخصم عدته علم وآلاتُ
وشرعة الله في القرآن نهجرها ... وشرعة الخصم تلمود وتوراة
وعدة الخصم صاروخ وطائرة ... ونحن عدتنا الكبرى قرارات
أعداؤنا وَحَّدوا أشتات باطلهم ... وشعبنا -رغم نور الحق- أشتات
سفينة الشعب ضَلَّت لا شراع لها ... والشعب حار، وما للشعب منجاة
وفلكه فوق أمواج تقاذفه ... من الضلالة قد عازته مرساة
وجيلنا ضاع في تيه يمزِّقه ... ودربه ضلَّ قد دَكَّته مأساة
الجهل والفقر والطغيان يسحقه ... والكأس والجنس مسلاة وملهاة
وباطن الشعب آلامٌ مبرِّحة ... وظاهرُ الشعب أفراحٌ وزينات
في كل يوم متاهات تضيِّعنا ... وفي الكوارث تطوينا متاهات
شعارُنا الحرب والتحرير نرفعه ... وهل يُحَرِّرُ (أقصانا) شعارات!
كان (اليمين) لنا ذلاً يمزّقنا ... وفي (اليسار) لنا بؤسٌ وويلات
يا سوأَة العمر في تاريخ أمتنا ... فقد بدت منكمُ للعين سوءات
متى تَرَوا -ويحكم- عنوان نكبتنا ... أما لديكم -بربِّ البيت- مرآة!
من يزرع اليوم شراً فالحصاد غداً ... وقدرة الله للطغيان مذراة

الحقيقة المرّة

للدكتور عبد الجبار الجومرد

كان الدكتور عبد الجبار الجومرد قد ألقى هذه القصيدة في أوائل الخمسينيات في احتفال مهيب في مدينة الموصل

مَن سامع فأبثَّ شكوى لم تزل ... بين الضلوع دفينة آلامُها

لن أخشَ إن قلتُ الحقيقة ناقداً ... أو لامَ فيما قلتهُ لُوّامُها

إنا تعوّدنا الكلامَ فالسُنُّ ... ثرثارة، في الكذب باتَ غرامها

شِيَعٌ وأحزاب يحطمُ بعضُها ... بعضاً وجرائد مأجورة أقلامها

يتطاحنون لمقصد ومآرب ... ولكل نفسٍ غاية ومرامها

وهل ارتقت للمجد إلا أُمة ... كَثُرَت فعائلها وقلَّ كلامها

إن كان باقٍ للعروبة فتية ... فمتى يفيق من السبات نيامها

علماؤها غَضُّوا الجفون على القذى ... وسعى لكل بليةٍ حُكَّامُها

ولرب من زَعَمَ البناءَ لأُمةٍ ... نَسِيَ الحقيقةَ أنه هدامُها

لا تفخروا كانت وكان لواؤها ... طُوِيَ الزمانَ ومُزِّقت أعلامُها

كانت يخاف الغربُ رميةَ سهمها ... فتقاعسَ الرامي وطاشَ سهامها

ولديكم (وادي الحوادث) شاهد ... لّما تصَرَّف بالأمور طغامها

تلك القبائل من معّدٍ أقفرت ... عرصاتها، وتروَّعت آرامها

أما البيوت، فَقُطِّعَت أطنابُها ... وتقوّضَت يوم الرحيل خيامها

هذي فلسطين تسيل جروحها ... وكذا يئنُّ عراقُها وشآمها

في كل يوم نكبةٌ وكأنما ... خلقت موارد حسرةٍ أيامها

وإذا تمادت أُمةٌ في غيِّها ... لقي المذلة والهوان كرامها

يا رافعاً عَلَمَ الجهاد

شعر: عبد الرحمن صالح العشماوي

مـــن أيِّ نبـــع أســـتقي أنغامـــي ... وبـــأيِّ قافيـــة أصـــوغ كلامـــي

كـــل القصـــائد في فمـــي محبوســـة ... محتاجـــة منـــي إلـــى إقـــدام

يـــا حـــاملاً نهـــجَ الرســـول وعصـــرنا ... يلهـــو بحمـــل مبـــادئ الأقـــزام

يـــا رافعـــاً عَلَـــمَ الجهـــاد وأُمتـــي ... مشـــغولة بتناحـــر وخصـــام

إضرب بسيفك فالرؤوس وإن بَدَت ... مـــلأى، مفـــرّغة مـــن الأحـــلام

أوَ مـــا تـــرى فـــيما تـــرى رؤســـاءهم ... صـــاروا عبيـــد مداســـة وغـــرام

لجـؤوا إلى الأعـداء مـا وجـدوا عـلى ... أعتابهـــم إلا فتـــات طـــعام

يتناحـــرون عـــلى مبـــادئ غـــيرهم ... وصـــفوفهم تمشـــي بغـــير نظـــام

يتســـابقون إلـــى اللذائـــذ أينـــما ... وجـدت، ولا يقفـون دون حـرام

أُمـــدد يـــديكَ إلى حبـــال رقـــابهم ... ســـترى ســـراة القـــوم كالأنعـــام

هـــم يحلمـــون بضـــم لـــيلى خلســـة ... وبشـــرب كـــأسٍ تحـت جنح ظـلام

وأراك تحلـم أن تـرى علـمَ الهـدى ... يعلـــو، وأن تبنـــي ذرى الإســـلام

ورفعـت رأسَـكَ في زمـان ضـيعت ... فيـــه الحقـــوق بوصـــمة استســـلام

نبغـي السـلام؟ نعـم بسـيف عدالـة ... نبنـــي ســـلاماً لا ككـــل ســـلام

سِـــرْ فـــالطريق طـــويلة لكنهـــا ... تفضـــي إلى رَغَـــدٍ وحســـن ختـــام

سجدة السَّحَر

وليد الأعظمي

سجدةٌ لله عند السَّحَر تغسلُ الروحَ بضوء القَمَرِ
أيهـــا المـــؤمنُ هـذي لحظـات
عبـــرٌ للقلـب فيهـــا وعظـات
فأترك الماضي الذي ولـى وفات
وأهتبلها فرصـةً قبـلَ الممـــات
وتَعجَّل راغبـاً فـي الصـلـوات
تائبـــــاً للخـــــالق المقتـــدر
سجدةٌ لله عند السَّحَر تغسلُ الروحَ بضوء القَمَرِ
أنـــا قد ضيَّعتُ عمـري أسـفاً
لاهيـــــاً، مبتعـــــداً منصـــرفاً
عن طريق النور: نهج المصطفى
فتحزَّمتُ ونلـــتُ الشـرفـــا
وأمتلـى قلبـي نـــوراً وصفـــا
برجوعـــي للطـــريق الأنـــورِ
وســـوانا ضـــاعَ فـي أحلامِـــهِ
سجدةٌ لله عند السَّحَر تغسلُ الروحَ بضوء القَمَرِ
ينشـد الراحـــة مـــن آلامِهِ
شـدّه الشـيطان مـن أوهامِهِ
بحبال البـؤس فـي إعدامِـهِ
ليس مـا ينجيـه مـن اسقامِهِ

غيـــر أن يحيـا بإيمانٍ طري

سجدةٌ لله عند السَّحَر تغسلُ الروحَ بضوء القَمَرِ

رفـرفي يا نفـسُ في هذا الفضـاء

وأرفلي كالطير صـدّاح الغنـاء

واسبحي في ملكوتٍ من ضيـاء

واسجدي شكراً لجبار السـماء

وأطيليـه ابتهـظـالاً ودعـــاء

واذكري (الموقف) ثم استغفري

سجدةٌ لله عند السَّحَر تغسلُ الروحَ بضوء القَمَرِ

فـاز مَـن سَبَّحَ والناسُ هجـوع

يدفـن الرغبـة ما بيـن الضـلـوع

ويغشِّيـه سـكـونٌ وخشـوع

ذاكـراً لله والدمـــعُ همـــوع

سـوف يغدو ذلك الدمع شموع

لتضـئ الـدرب يـــومَ المحشـر

سجدةٌ لله عند السَّحَر تغسلُ الروحَ بضوء القَمَرِ

ربِّ هَب لـي منك إيماناً يقينـــي

لفحـة المنكـر والكفـر المشـينِ

واجعل اللهـم دنيـاي لـدينـــي

ربِّ وارحم (موقفي) يـومَ اليقين

واعطنـي ثَـــمَّ كتابـــي بيميني

أبيـــض الوجـــه، كريـــمَ المخبر

سجدةٌ لله عند السَّحَر تغسلُ الروحَ بضوء القَمَرِ

يا قومِ لا تتكلموا

معروف الرصافي

يـــا قـــوم لا تتكلمـــوا إن الكـــــلام مُحـــــرَّمُ
نـــاموا ولا تســـتيقظوا مـــا فـــازَ إلاّ النـــوَّمُ
وتـــأخروا عـــن كـــل مـــا يقضـــي بـــأن تتقـــدّموا
وَدَعُـــوا الـــتَفَهُّمَ جانبـــاً فالخيـــرُ أن لا تفهمـــوا
وتثبتـــوا فـــي جهلكـــم فالشـــرُّ أن تتعَلمـــــوا
أمـــا السياســـة فـــاتركوا أبـــــداً وإلاّ تندَمـــــوا
إن السياســـــة ســـرّها لـــو تعلمـــون مُطلســـمُ
وإذا أفضـــــتم في المبـــــا ح مـن الحـديث فجمجمـوا
والعـــــدل لا تتوسّـــموا والظـــلمَ لا تَتَجهمـــوا
مَـن شـاء مـنكم أن يعيـــ ـــش اليـومَ وهـو مُكَـرَّمُ
فَلـــيُمسِ لا ســـمعٌ ولا بصـــرٌ لديـــه ولا فـــم
لا يســـــتحقُّ كرامـــــة إلاّ الأصـــمُّ الأبكـــمُ
ودعـــوا الســـعادة إنـــما هـــي فـــي الحيـــاة تـــوهمُ
فـــالعيش وهـــو مُـــنَغَّمٌ كـــالعيش وهـــو مـــذمم
فارضـــوا بحكـــم الدهـــ ـــر مهـما كـان فيـه تحكـم
وإذا ظُلمـــتُم فاضـــحكوا طـــــرباً ولا تتظلمـــوا
وإذا أُهنـــتم فاشـــكروا وإذا لُطمـــتُم فابســـموا
إن قيـــل: هـــذا شـــهدكم مُـــرٌّ فقولـــوا علقـــمُ

أو قيـــل: إن نهاركـــم ليـــل فقولـــوا: مُظلـــمُ
أو قيـــل: إن ثمادكـــم سَـــيلٌ فقولـــوا: مُفعـــمُ
أو قيـــل: إن بلادكـــم يـــا قـــوم ســـوف تُقسّـــَمُ
فتَحَمَّـــدوا وتَشَـــكّروا وتَرنَّحـــوا وتَرنَّمـــوا

أنا مسلم

أبو القيم الكبيسي

إن ســـاءلوكَ وأمعنـــوا بعذابـــي ... مـن أنـت؟ فـاحكم قولها بجوابـي

أنـا مســلمٌ سَـمَّى هويـة أمتـي ... نبـعُ الصـفا إبـراهيم في الأنسـاب

وعلـــى الهويـــة إن أردت توثقـــا ... فأقـــرأ براءتَـــه مـــن الأحـــزاب

فـالكفر بالطـاغوت شرط هـدايتي ... وبآيـــة الكرســـي سرُّ جـــوابي

وعـــلى الهويَّـــة إن أردت معالمـــاً ... أخـــرى يُـــيممُ شـــطرَها محـــرابي

فـــانظر فـــإنَّ محمـــداً لهويتـــي ... بَصَـــمَ الختـــام مُصَـــدَّقاً بكتـــابي

أنـا مسـلمٌ والاسـم يـرفض غـيره ... أســماؤهم قـــد فرَّقـــت أحبـــابي

بمحمـــد مجـــدي أبتـــدا تاريخـــه ... وجـــذوره إبـــراهيم في الأحقـــاب

أنـا بالكتـاب ألـوذ عنـد تفـرُّق ... وبسـنة الهـادي البشـير صـوابي

والشرـك أرفضـه وأرفـض رسـمه ... مهـما خفـى، ولقـد خفـى بقبـاب

أنـا مســلم واليـتُ كُـلَّ موحِّـدٍ ... وكفـرت بـالإزلام والأنصـاب

عاديـتُ في التوحيـد كـل مخلـط ... رفَـضَ الحـوارَ ولاذ بالإعجـاب

أنـا مسـلمٌ حـبُّ التـآلف شـرعة ... كـبرى يحبـذُها أولـو الألبـاب

لكـنَّ مَـن شَـرَخ التـآلف بيننـا ... جهـل الجهـول وبـدعة الكـذَّاب

أنـا مسـلم حـبُّ الأئمـة مذهبـي ... فجمـيعهم -والله- مـن أحبـابي

والحـب يفسـده الغلـوّ إذا أتـى ... وغـلا بهـم قـومٌ مـن الأصـحاب

أنـا مسـلم هـذي حقيقـة شـرعتي ... فخـذ الحقيقـة -كلهـا- بجـوابي

وإذا ادعيـت خـلاف مـا أسـميته ... ورميتنـــي مـــن أننـــي وهـــابي

فاقصـر -هداك الله- إنَّ هُـوِيَّتِي ... أنـا مسلـم لا خلـط في الأنسـاب

من أدب الفقهاء

عبد الله بن المبارك

عبد الله بن المبارك إمام من أئمة العلم والدين. روى عن مالك والثوري وتلك الطبقة، وأدرك جاهاً عظيماً. وكان يقول الشعر، وشعره من هذا الأدب الملتزم الذي يهدف إلى اسمى الغايات من إصلاح المجتمع وانتقاد المتلاعبين بالدين والعلماء الذين تفسدهم الأطماع، فيصبحون محل استغلال هؤلاء الساسة، فمن ذلك قوله:

قد يفتح المرء حانوتاً لمتجره ... وقد فتحتَ لك الحانوت في الدين

بين الأساطين حانوتٌ بلا غلق ... تبتاع بالدين أموال المساكين

صيَّرتَ دينَكَ شاهيناً تصيد به ... وليس يفُلح أصحابُ الشواهين

وقد كتب ابن المبارك إلى (ابن علية) لما ولي القضاء:

يا جاعل العلم له بازياً ... يصطاد أموال المساكين

احتلت للدنيا ولذَّاتها ... بحيلةٍ تذهبُ بالدين

فصرتَ مجنوناً بها بعدما ... كنتَ دواءاً للمجانين

أين رواياتك في سردها ... لترك أبواب السلاطين

أين رواياتك فيما مضى ... عن أبن عوف وابن سيرين

إن قلت أُكرِهتُ فذا باطل ... زلَّ حمار العلم في الطين

فلما وقف إسماعيل بن علية على هذه الأبيات، ذهب إلى هرون الرشيد، ولم يزل به يستعفيه من القضاء حتى أعفاه.

ومغزى هذا الموقف من حفظ كرامة العلم وصيانة الدين عن الشبه أظهرُ من أن ينبه عليه.

الشافعي الشاعر

الأمام محمد بن إدريس الشافعي فوق فقهه وعلمه كان شاعراً مجيداً وهو القائل:

ولولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنتُ اليومَ أشعرَ من لبيد

وشعره في الأخلاق والآداب والنصائح مما امتلأت به الدواوين، ومنه قوله:

إن الذي رُزِقَ اليسارَ ولم يصب ... حمداً ولا أجراً لَغَيرُ موَّفق

والجد يُدني كل شيء شاسع ... والجد يفتح كل باب مغلق

وأحق خلق الله بالهمِّ أمرؤ ... ذو همةٍ عليا وعيشٍ ضيق

ومن الدليل على القضاء وكونِه ... بُؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

واشتهر من قوله في الاعتزاز بالنفس:

عليَّ ثيابٌ لو تُباع جميعها ... بفلسٍ لكان الفلس منهن أكثرا

وفيهن نفس لو تقاس ببعضها ... نفوس الورى كانت أجلَّ وأكبرا

ومما قاله في الشيب:

خبَت نار نفسي باشتعال مفارقي ... وأظلَمَ لَيلي إذ أضاء شهابُها

أيا بومةً قد عَشَّشَت فوق هامتي ... على الرغم مني حين طار غرابها

رأيت خرابَ العمر مني فزرتني ... ومأواك من كلِّ الديار خرابُها

أَأَنعمُ عيشاً بعدما حلَّ عارضي ... طلائع شيبٍ ليس يُغني خضابها

وعزة عمر المرء قبل مشيبه ... وقد فنيت نفسٌ تولى شبابها

إذا أصفر لونُ المرء وابيضَّ شَعره ... تَنَغَّصَ من أيامه مستطابها

فَـدَع عنـك سـوءات الأمـور فإنهـا ... حـرامٌ عـلى نفـس التقـيِّ ارتكابهـا

وأدِّ زكـــاة الجـــاه واعلـــم بأنهـــا ... كمثـل زكـاة المـال، تـمَّ نصـابها

وأحسـن إلى الأحـرار تملـك رقـابهم ... فخـيرُ تجـارات الكـرام اكتسـابُها

ولا تمشـين في منكـب الأرض فـاخراً ... فعـــمّا قليـــلٍ يحتويـــك ترابُهـــا

ومَـن يَـذُق الـدنيا فإنـي طـَعمتُها ... وسِـــيق إلينـــا عَـــذبُها وَعَـــذابُها

فلـــم أرَهـــا إلا غـــروراً وبـــاطلاً ... كـما لاحَ في ظَهـر الفـلاة سرابُهـا

ومـــا هـــي إلا جيفـــة مســـتحيلةٌ ... عليهـا كُـــلابَ هَمُّهـــنَّ اجتـذابها

فـإن تجتنبهـا كنـتَ سِـــلماً لأهلهـا ... وإن تجتـــذبها نـــازعتك كلابهـــا

فطـوبى لـنفسٍ أُولِعَـت قَعـرَ دارهـا ... مغلقـة الأبـواب، مرخـىً حجابها

فلـن تخـرب الـدنيا بمـوت شرارهـا ... ولكـن بمـوت الأكـرمين خرابها

زيارة الوالدين

قال مفتي فاس العلامة الشيخ محمد القصار القيسي الفاسي:

زُر والـديك وقـف عـلى قـبريهما ... فكأننـي بـك قـد نُقِلـت إلـيهما

لو كنـتَ حيـث همـا وكانـا بالبقَـا ... زاراك حَبـواً لا علـى قـدميهما

أنسـيتَ عهـدهما عشـيةَ أُسِـكنا ... دار الـبِلى وسـكنتَ في داريهـما

مـا كـان ذنبهمـا إليـك وإنـما ... مَنَحاك محـضَ الـودِّ مـن نفسيهما

كانـا إذا مـا أبصـرا بـك علـةً ... جَزِعـا لمـا تشـكو وشـقَّ عليهما

كانـا إذا سَمِعـا أنينَـك أَسـبلا ... دمعيهمـا أسـفاً علـى خَـدَّيهما

وتمنيـا لـو صـادفا لـكَ راحـةً ... بجميـع مـا يحويـه ملـك يـديهما

فَلَتلحقنَّهمـا غـداً أو بـعدَه ... حَـتماً، كمـا لحقـا همـا أبـويهما

ولتندمـنَّ علـى فعالـك مـثلما ... نَـدِما همـا –أيضـاً– عـلى فعليهما

بُشـراك إن قـدَّمتَ فعـلاً صـالحاً ... وقضيتَ بعضَ الحق من حقيهما

وقرأتَ من أي الكتاب بقـدر مـا ... تسـطيعه وبعثـتَ ذاك إليهمـا

فاحفظ بُنيَّ وصيتي واعمـل بهـا ... فعسـى تنـال الفـوز مـن بـريهما

عائشة أُمّ المؤمنين

قال ابن أبي عمران موسى بن محمد بن عبد الله الواعظ الأندلسي في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

ما شأن أم المؤمنين وشاني ... هُدِيَ المحبُّ لها وضلَّ الشاني

إني أقول مبيِّنا عن فضلها ... ومترجماً عن قولها بلساني

يا مبغضي لا تأت قبر محمد ... فالبيتُ بيتي والمكان مكاني

إني خُصِصتُ على نساء محمد ... بصفات بر تحتهنَّ معان

وسبقتهنَّ إلى الفضائل كلها ... فالسبق سبقي والعنان عناني

مَرِضَ النبي وماتَ بين ترائبي ... فاليومُ يومي والزمان زماني

زوجي رسول الله لم أرَ غيره ... اللهُ زوَّجني به وحباني

وأتاه جبريل الأمين بصورتي ... وأحبني المختارُ حين رآني

أنا بِكرُهُ العذراء عندي سرّه ... وضجيعه في منزلي قمران

وتَكَلَّمَ الله العظيم بحجتي ... وبراءتي في محكم القرآن

من منفى إلى منفى

للشاعر: عبد الله البردوني

بـلادي مـن يَـدَي طـاغٍ ... إلــى أطغَــى إلــى اجفــى
ومِـن سـجن إلى سـجنٍ ... ومــن منفــى إلــى منفــى
ومِـــن مســـتعمرٍ بـــادٍ ... إلـــى مســـتعمرٍ أخفـــى
ومـن وحـشٍ إلى وحشين ... وهـــي الناقـــة العَجفـــا
بـلادي في كهـوف المـوت ... لا تَفنـــــى ولا تُشـــــفى
تُنقِّـرُ في القبـورِ الخـرس ... عـــن ميلادهـــا الأصـــفى
وعـــن وَعـــدٍ ربيعـــيٍّ ... وراءَ عيونـــــها أغفـــــى
عــن الحــلم الــذي يــأتي ... عن الطيف الذي استخفى
بـلادي فـي ديـار الغـير ... أو فـــي دارهـــا لهفـــى
وحتــى فــي أراضــيها ... تُقاســـي غربـــةَ المنفـــى

العرب وعبادة الأوثان

محمد حبيب العبيدي

مفتي الموصل

فُـتِنَ الضـاد بمـن قـد فُتِنـا ... فعسـى اللهُ يقينـا الفتنـا

ما خَلَت أرضٌ لنا من وثنٍ ... ضـلَّ قـومٌ يعبـدون الوثنـا

عَبَـدَ الأحجـارَ آبـاءٌ مَضَـوا ... وَعَبَدْنـا بَشـراً أمثالنـا

كانـت العُـزَّى خليـاً جوفَهـا ... مـن طعـامٍ أو شـرابٍ يُقتنى

لـم تُكلـف عابـديها مَطعَـماً ... لم تكـن تشـربُ حتـى اللبنـا

وإذا لـم تملـك النفـع فمـا ... تملـك الضـرَّ ولا قـولَ الخنـا

وابتلينـا بغرانيـقَ غـوت ... وغوينـا فـي هـواها عَلَنـاً

كَلَّفتنـا شـططاً مـن أمرهـا ... طـاعةً عميـا وظُلمـاً بَيِّنـا

همُّهـا تملـك عرشـاً عاليـاً ... وَيَـداً مـلأى وفرشـاً ليِّنـا

تأكـل الـدنيا وتشـكو سَـغباً ... تشـربُ البحـر وترجـو المزنـا

تكنـزُ المـالَ الـذي تجمعـه ... بشـقاءِ ولغـوبٍ وَعَنـا

وإذا مـا فرّقتـه سـرفاً ... حرمـت حُـرّاً وأعطـت خائنـا

لا تبـالي باليتـامى إن بكـوا ... تحتسي مـن دمعهـم كـأس الهنا

وإذا الشـعب شـكا مـن فاقـةٍ ... سرَّهـا مـا في يـديها مـن غنـى

يُسـعَدُ الفـرد وتشـقى أُمـةٌ ... حَسـبُنا هـذا ضـلالاً حسـبنا

يا شيوخَ الضاد هل من مرشدٍ ... قـد غوينـا وغـوت قادتُنـا

مـا علينـا وعليهم لـو مَشـوا ... ومشـينا وَجَمعنـا شـملنا؟!

كُــلُّ قــومٍ حَّطُــموا أوثــانهم ... كــلُّ شـعبٍ عـادَ حـرّاً غيرنـا!

عَلَّلوهـــا بالأمانـــي أنفســـاً ... ضَـعُفَت عزمـاً وسـاءت فطنـا

مــا درت إلاَّ هوانــاً في هــوى ... مـا رأت غَـير المنايـا مـن منـى

كُلُّنــا قَصَّـــرَ فـــي واجبـــه ... غاويــاً فــي وثــنٍ حتــى أنــا

أيهـا الأوثـان مهـلاً حسـبُكم ... قــد شــقينا وشــقيتم معنــا

لا تغـرَّنكم قصـورٌ شــمخت ... إن كـوخ الحـر خـيرٌ مَسـكَنا

لا يغـرَّنكم عمــى القـوم فقـد ... كَشَـفَ اللهُ العمـى عـن قومنـا

فـإلى التوبـة يـا قـومي عسـى ... يقبـــل اللهُ غـــداً توبتنـــا

حطِّمـــوني إن تـــروني وثنـــاً ... واقتلــوني إن عبــدتُ الوثنــا

ملاحظة: نظمت هذه القصيدة قبل سنة ١٩٣١م.

ذكر ونسيان

وليد الأعظمي

شـــريعة الله للإصـــلاح عنـــوان ... وكـل شيءٍ سـوى الإسـلام خسـران
لّـا تركنـا الهـدى حَلّـت بنـا محـنٌ ... وهـاج للظلـم والإفسـاد طوفـان
لا تبعثوهـا لنـا رجعيـةً فتـرى ... باسـم الحضـارة والتـاريخ أوثـان
لا (حـامرابي) ولا (خوفـو) يُعيـد لنـا ... مجـداً بنـاه لنـا بالعـزِّ قـرآن
تاريخنـا مـن رسـول الله مبـدؤه ... ومـا عـداه فـلا عـزٌّ ولا شـأن
محمـدٌ أنقـذ الدنيـا بدعوتـه ... ومـن هـداه لنـا رَوحٌ وريحـان
لـولاه ظـلَّ أبـو جهـلٍ يضـلِّلنا ... وتسـتبيح الـدما (عـبس) و (ذبيـان)
لا خـير في العـيش إن كانـت مواطننـا ... نهبـاً بأيـدي الأعـادي أينـما كـانوا
لا خير في العيش إن كانت حضارتنا ... في كـل يـومٍ لهـا تنهـدُ أركـان
لا خيرَ في العيش إن كانت عقيدتنا ... أضـحى يزاحمهـا كفـر وعصـيان
لا خـير في العـيش إن كانـت مبادئنـا ... جـادت علينـا بهـا للكفـر أذهـان

***

هـا قـد تـداعى علينـا الكـفر أجمعـه ... كـما تـداعى عـلى الأغنـام ذؤبـان
والمســلمون جماعــات مفرَّقــةٌ ... في كـل ناحيـة مَلـكٌ وسـلطان
مثل السـوائم قـد سـارت بغـير هـدىً ... تقودهـا للمهـاوي السـود رعيـان
في كـل أفـق عـلى الإسـلام دائـرةٌ ... ينهدُّ من هولها (رضـوى) و(ثهـلان)
مسـاجد نُسِـفَت في (قـبرص) علنـاً ... فهـل تَحَـرَّك عنـد القـوم وجـدان؟
قالوا: قد اختلفت (تُـرك) و (يونـان) ... لا بـل قـد اختلفـا كفـر وإيـمان
حـرب صـليبية شـعواء سـافرةٌ ... كالشـمس مـا عازهـا قَصـدٌ وبرهـان

قد غاب عنها صلاح الدين وا أسفاً ... فراحَ يفتك بالإسلام (مطران)

وذي (فلسطين) قد طالت مصيبتها ... وخيَّمت في سماء القدس أحزان

ضجَّت من الضيم وانفتَّتْ جلامدُها ... تدعو إلى الثأر اكام ووديان

كُلُّ الحوادث نالتنا مصائبها ... ولم يزل عندنا عزم وإيمان

بأننا أُمةٌ قامت على أُسس ... بهنَّ يثبتُ دون الهدم بنيان

حزم وعزم وإنصاف ومرحمة ... فلم يقف دونها (فرس) و(رومان)

نبني الحياة بوحي من عقيدتنا ... وعندنا للهدى والحقِّ ميزان

قرآننا مشعل يهدي إلى سُبُل ... مَن حاد عن نهجها لا شكَّ خسران

هو السعادة فلنأخذ بشرعته ... وما عداه فتضليل وبهتان

قد ارتضيناه حُكماً لا نُبدِّلهُ ... ما دام ينبض فينا منه شريان

معركة جنين

كان محمود شيت خطاب –رحمه الله– ضابطاً من ضباط الجيش العراقي، اشترك في تحرير (مدينة جنين) من أيدي اليهود في ٣/ ٦/ ١٩٤٨، وفي تلك الفترة كتب قصيدته هذه. وظلّت (جنين) بأيدي أصحابها العرب المسلمين حتى سنة ١٩٦٧، حين وقعت نكبة الخامس من حزيران.

هذي قبورُ الخالدينَ فقد قَضَوا ... شهداءَ حتى يُنقذوا الأوطانا
قدْ جالدوا الاعداءَ حتى استُشهِدوا ... ماتوا بساحاتِ الوغى شُجعانا
ماتوا دفاعاً عن حياضٍ دُنستْ ... بأحطِ خلقِ الله في دنيانا
المخلصونَ تسربلوا بقبورهم ... والخائنونَ تسنَّموا البنيانا
أجنينُ إنّك قد شهدت جِهادَنا ... وعلمتِ كيف تساقطتْ قتلانا
ورأيتِ معركةً يفوزُ بنصرها ... جيشُ العراقِ وتُهْزَم (الهاجانا)
أجنينُ لا أنسى البطولةَ حيةً ... لبَنِيكِ حتى أرتدي الأكفانا
إنّي لأشهد أنّ أهلك كافحوا ... غزوَ اليهودِ وصارعوا العدوانا
فإذا بَكيتِ فلستِ أولَ صارمٍ ... بَهَظتْهُ أعباءُ الجهاد فلانا
أجنينُ يا بلدَ الكرامِ تجلّدي ... ما مات ثأرٌ ضرجتْهُ دمانا
لا تأمني غدرَ اليهودِ بُعيْدنا ... جُبلوا على لؤم الطباعِ زمانا
المجدُ للبلدِ المناضلِ صابراً ... حتى ولو ذاقَ الردى ألوانا
لا تعذلوا جيشَ العراقِ وأهلَه ... بلواكمُ ليست سوى بلوانا
إنّ السنانَ يكونُ عند مكبّل ... بالقيد في رجليه ليس سنانا
مرجُ ابنِ عامرَ ضرجته دماؤنا ... أيكون مُلْكا لليهودِ مهانا !!
المسجدُ الأقصى ينادي أمةً ... تَرَكَته أضعف ما يكونُ مكانا
إنّي لأعلم أنّ دينَ محمدٍ ... لا يرتضي للمسلمينِ هوانا
إنّ الخلودَ لمن يموت مجاهداً ... ليس الخلودُ لمن يعيش جبانا

في رثاء الشيخ ذي النون البدراني

الشيخ ذي النون البدراني عالم فاضل من علماء الموصل؛ جَمَعَ بين العلم والعمل والاستقامة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقضى حياته -كلها- في تدريس العقيدة والشريعة الإسلامية والعلوم العربية، وأخذ إجازته العلمية عن شيخنا رشيد الخطيب الموصلي. كان مكفوف البصر لكنه من أبصر الناس بتفسير كتاب الله ﷻ مطلعاً على كثير مما دبجه علماء التفسير من آراء: فيقارن بينها، ويرجح ما يراه راجحاً، مستدلاً على ذلك بما يقنع من كتاب الله وسنة رسوله ولغة العرب، وقد يأتي بآراء لم يسبقه إليها أحد. أجاز ثلاثة من تلاميذه هم الشيوخ: صالح خليل حمودي الطائي، وغانم محمود العيثان، وحمد المحمود البدراني. وقد رثاه تلميذه الشيخُ صلاح الدين عزيز بهذه القصيدة الرائعة ومنها:

سهام الموت تفجعنا جميعاً ... تأبَّت أن تطيشَ وأن تضيعا
وسيف الموت فينا ليس يدري ... أمقداماً تناول أم جزوعا
وكأس الموت نشربها تباعاً ... فتغتال المشرّف والوضيعا
ولكن ليس مَن يقضي وضيعاً ... كمن يلقى منيته رفيعا
وفرق بين من يمضي عظيماً ... نشيعهُ ثناءاً أو دموعا
ومَن يمضي ولا أسفاً عليه ... وقد همسوا: ذهاباً لا رجوعا

***

دعاكَ اللهُ يا ذا النون شيخي ... وقد آثرت إلا أن تطيعا
فمثلكُ إن دعاه الله لبى ... ولن يشقى بموت أو يروعا
وكنا قد تضرُعنا إليه ... دعاءاً أو رجاءاً أو خشوعا
بأن يبقيك ذخراً مستفيضاً ... وغوثاً باذل الحسنى وديعا

وإنـــا إذ نؤبنـــك احتســـاباً ... نـؤبِّنُ فيـك ذا العلـم الصـريعا
مصاب العلـم أن يمضـي عليم ... ويـترك روضـه قفـراً بقيعـا
*** ***
بـذلت العلـمَ للطـلاب دومـاً ... تعلمهـم فـرادى أو جمـوعاً
وترفدهـم بليـلٍ أو نهـارٍ ... كرفـد الأُم واحـدَها الرضـيعا
وأشـهد بالـذي أغنـى وأقنـى ... يُغَـذِّينا ويقضـي الـدرسَ جوعـا
وكـم أشـفقتُ مـن ألم عليـه ... وكـم أبـدى التجلـد مسـتطيعا
*** ***
فيـا لَـكَ مـن ضريـر كـان دومـاً ... بشـرع الله أبَصـَرنا جميعـا
ويـا لَـكَ مـن بطـئ اللفـظ لكـن ... لفـنِّ القـول قـد كنـتَ النجيعـا
ويـا لَـكَ مـن رحـيم ظـلَّ دهـراً ... يـواسي ذا اليتـيم وذا الفجيعـا
يواسـيهم بمـال أو مقـال ... ومسـعى قـلَّ أن يلقـى هجوعـا
ويُصـغي للشـكاة رهيـف أُذنٍ ... وكـان لكـل شـكواهم سـميعا
ويبـدو للـورى جسـماً ضـئيلاً ... ولكـن يحمـل القلـبَ الوسـيعا
ويظـهر فـي تحدثـه عثـار ... ولكـن يُفهـم المعنـى سـريعا
وتحسـبه لهيئتـه ضـعيفاً ... ولكـن كـان عملاقـاً شـجيعاً
لقـد رضي العمـى سـجناً طـويلاً ... مخافـةَ في المـآثمِ أن يميعـا
*** ***
ألا نـم واسـترح ذا النـون واهنـأْ ... فقـد جـاورتَ خالقنـا البـديعا
وجـاورتَ الهـداة وتـابعيهم ... محمـدنا وموسـى واليسـوعا
فـلا تحـزن فقـد غـادرتَ دنيـا ... غـدت سُـمّاً نجرعـه نقيعـا
فلـيس لعالـم فيهـا مكـان ... ويملكهـا الغبـي حصـناً منيعـا
*** ***
ومهـما قلـتُ مـن شـعر رثـاءاً ... لكـي أُوفيـك لم أكُ مسـتطيعا

إليـك اليـومَ منـا فـي ابتهـالٍ سـلاماً يسـبق الـبرق اللميعـا
مـع الشمسـين في فلـك حكـيم مناوبـةً غـروباً أو طلوعـاً
لفضـلك في سـبيل الله تـدعو إلـى أن مـتَّ مرضـياً قنوعـا
إذا أبـت المنيـة أن تضـيعا كـذاك الفضـل يـأبى أن يضـيعا

***

وطني

شعر: عبد الرحمن العشماوي

لو اشتكى مسلم في الصين أرَّقني ... أو اشتكى مسلم في الهند أبكاني

فمصر- ريحانتي والشام نرجستي ... وفي الجزيرة تاريخي وعنواني

وفي العراق اكفُّ المجد ترفعني ... عن كل باغٍ ومأفونٍ وخوَّان

ويسكن المسجد الأقصى وقبته ... في القلب -لا شك- أرعاه ويرعاني

أرى بخارى بلادي وهي نائية ... وأستريح إلى ذكرى خراسان

شريعة الله لَمَّت شملنا وبنت ... لنا مقاماً بإحسان وإيمان

ولكنَّ الجميع بلا إمام

وما شكوايَ أو شكواك إلاَّ ... لفوضى في المجامع وأنقسامِ

ترى كُلاً له أمَلٌ وسعيٌ ... وما لآثنين حولَكَ من وئامِ

لكل جماعةٍ فينا إمامٌ ... ولكنَّ الجميع بلا إمامِ

وكلٌ يدّعي وصلاً بليلى

أروح وقد ختمتَ على فؤادي ... بحبك أن يحلَّ به سواكا
فلو أني استطعتُ غمضتُ طرفي ... فلم أنظر به حتى أراكا
وفي الأحباب مختص بوجدٍ ... وآخرُ يدّعي معه اشتراكا
وكلٌّ يدّعي وصلاً بليلى ... وليلى لا تقرُّ له بذاكا
إذا اشتبكت دموع في خدود ... تبيَّنَ مَن بَكى ممن تباكى

الموت

قال عبد الله بن محمد بن هبة الله وكان ناظراً للأوقاف في عهد نور الدين زنكي:

أُؤمِّلُ أن أحيا وفي كل ساعةٍ ... تمرُّ بيَ الموتى تُهَزَّ نُعُوشُها
وما أنا إلاَّ منهم غيرَ أنَّ لي ... بقايا ليالٍ في الزمانِ أعيشُها

يا فتى القرآن

يا أخي المسلم في كل الدُّنا ... يا فتى القرآن لا تَستَسلم
لا تَقُل إني ضعيفٌ عاجزٌ ... عن صراع الفاجر المستحكمِ
لا تَقُل هذا ولكن يا أخي ... بإله الكائنات استعصم
أُنصر اللهَ لتحضى بالرضا ... فإذا نَفَّذتَ هذا أقدمِ
فمن استرضى العظيم المرتجى ... مخلصاً عند الوغى لم يُهزَمِ
لكن المجنونُ مَن يلقى العدا ... وهو لم يطهر ولم يستقم
قِلَّةٌ ممن أطاعوا ربَّهم ... في عيون الخصم مثل العيلم

التخنُّث

قال مصطفى صادق الرافعي رحمه الله في قصيدة له:

أفي الشبان قد مُسِخَ الشبابُ ... أم الدنيا اعتراها الانقلاب؟!

رأيتُ لبعضهم أمراً عجاباً ... وليس كمثله أمر عجاب

يسيل (تخنثاً) ويذوب لطفاً ... فهل في أرضنا رجلٌ مذاب؟!

وفيه من الذكورة نوع حسن ... تتم به أنوثتها الكعاب

وهمَّته الثياب فليس يمشي ... إذا ما سار، بل تمشي الثياب

تراهم تابعين لكل أنثى ... وبين الشبه والشَّبه انجذاب

وقال محمود غنيم في هذا المعنى:

شباب النيل يا زَينَ الشباب ... ويا أشبال آسادٍ غضاب

أرى منكم فريقاً حين يمشي ... يحكُّ بأنفه مَتنَ السحاب

كليث الغاب في أسد وكِبرِ ... وليس لدى الكريهة ليثَ غاب

تفنَّنَ في محاكاة العذارى ... وخالفهنَّ في وضع النقاب

ولا يخشى على شيء ويخشى ... إذا ثارَ الغبارُ على الثياب

الإسلام والغرب

الوحدة الإسلامية

١- يقول القس سيمون: (إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية. والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة. من أجل ذلك يجب أن نحوِّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية)[١].

٢- ويقول المستشرق والمبشر لورانس براون:

(إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكَنَ أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً. أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير)[٢].

ويكمل حديثه فيقول:

(يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرِّقين، ليبقوا بلا قوّةٍ ولا تأثير).

ويقول أرنولد توينبي في كتابه (الإسلام والغرب والمستقبل):

(إنَّ الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ)[٣].

وفي سنة ١٩٠٧ عقد مؤتمر أوربي كبير ضمَّ اضخم نخبة من المفكرين والسياسيين الأوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح:

(إن الحضارة الأوربية مهددة بالانحلال والفناء، والواجب يقضي علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا).

واستمر المؤتمر شهراً من الدراسة والنقاش. واستعرض المؤتمرون الأخطار الخارجية التي يمكن أن تقضي على الحضارة الغربية الآفلة؛ فوجدوا أن المسلمين

---

(١) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله ص٥٥.

(٢) جذور البلاء تأليف عبد الله التل ص٢٠٢.

(٣) الإسلام والغرب والمستقبل ص٧٣.

هم أعظم خطر يهدد أوربا؛ فقرَّر المؤتمرون وضع خطة تقضي ببذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط؛ لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربا.

وثائق من تقارير لورنس العرب

١- حدّد لورنس العرب في تقرير سريٍّ رفعه إلى المخابرات البريطانية في شهر كانون الثاني سنة ١٩١٦ بعنوان (سياسات مكة) الأهداف الرئيسة لبريطانيا وللغرب عامة، فيقول ما ترجمته:

(أهدافنا الرئيسة: تفتيت الوحدة الإسلامية، ودحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها...)[١].

٢- وجاء في تقرير له بعنوان (احتلال سوريا) ما يأتي:

(إذا شئنا ضمان السلام في جنوب سوريا، والسيطرة على جنوب بلاد ما بين النهرين وجميع المدن المقدسة، فيجب أن نحكم دمشق مباشرة، أو عن طريق حكومة صديقة غير إسلامية)[٢].

٣- وجاء في تقرير له بعنوان (احتلال سوريا إن تمّ) بتاريخ ١٩١٦ ما يأتي:

(مهما تمخضت عنه هذه الحرب، فيجب أن تكون نتيجتها القضاء نهائياً وإلى الأبد على السيادة الدينية للسلطان التركي)[٣].

٤- ويقول لورنس في تقريره (سياسات مكة) ما يأتي:

(لو تمكنا من تحريض العرب على انتزاع حقوقهم من تركيا فجأةً وبالعنف، لقضينا على خطر الإسلام إلى الأبد، ودفعنا المسلمين إلى إعلان الحرب على أنفسهم، فنمزقهم من داخلهم وفي عقر دارهم، وسيقوم نتيجة ذلك خليفةً

---

(١) الوقائع السرية في حياة لورنس العرب ص٥٢-٥٣.

(٢) الوقائع السرية في حياة لورنس العرب ص٦٢.

(٣) الوقائع السرية في حياة لورنس العرب ص٥٨.

للمسلمين في تركيا، وآخر في العالم العربي، ليخوضا حرباً دينية داخلية فيما بينهما، ولن يخيفنا الإسلام بعد هذا أبداً)[1].

الخوف من الإسلام

ألف الرئيس الأمريكي السابق (ريتشارد نيكسون) كتابه (نصر بلا حرب)، ونصَّ فيه على أن العدوَّ الأكبر في العالم الثالث هو: الأصولية الإسلامية[2].

ولما زار (غورباتشوف) واشنطن، وكان (نيكسون) يحذِّر من الاتحاد السوفيتي وشخصية (غورباتشوف) خاصة، قال نيكسون سنة ١٩٨٥:

(يجب على روسيا وأمريكا أن تعقدا تعاوناً حاسماً لضرب الأصولية الإسلامية)[3].

أما (جيمي كارتر) الرئيس الأمريكي السابق فيقول بكل صراحة:

(والتهديدُ الوحيدُ الآن في أعقاب التراجع السوفيتي في الشرق الأوسط على المصالح الأمريكية: هو الإسلام المتطرِّف. ولا يقتصر التهديد الإسلامي على المصالح الأمريكية فقط، بل يتجاوزها إلى تهديد الأنظمة العربية أيضاً، والولايات المتحدة لن تسمح بنشر ثورة إسلامية جديدة في أي دولة عربية من الدول ذات الأهمية الكبيرة)[4].

أمريكا واليقظة الإسلامية

نقلت صحيفة (الرأي) الأردنية عن وكالة الأنباء الفرنسية أن صحيفة (الواشنطن بوست) الأمريكية، ذكرت أن الرئيس الأمريكي السابق (جيمي كارتر) طلب من وكالة المخابرات الأمريكية أن تعد دراسة عن نشاطات الحركات

---

(١) الوقائع السرية في حياة لورنس العرب ص ٦٣.

(٢) وعد كيسنجر تأليف سفر عبد الرحمن الحوالي ص٧٢/ مؤسسة الكتاب الإسلامي ١٤١٢هـ.

(٣) وعد كيسنجر ص٧٢.

(٤) وعد كيسنجر ص٧٢.

الإسلامية في العالم كله.

ونسبت صحيفة (الواشنطن بوست) إلى مستشار البيت الأبيض لشؤون الأمن القومي آنذاك قوله:

(إن الإدارة الأمريكية تشعر بقلق إزاء تزايد نشاط الحركات الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي، وأن الولايات الأمريكية بحاجة إلى إعداد دراسة جديدة حول الحركات الإسلامية المتشددة ليسهل على الإدارة الأمريكية وأصدقائها في المنطقة الإسلامية مراقبتها عن كثب، حتى لا تفاجأ باندلاع ثورة إسلامية جديدة في أي مكان في العالم الإسلامي، لأنَّ أمريكا حريصة على عدم السماح للإسلام المتشدِّد بأن يلعبَ دوراً مؤثراً في السياسة الدولية).

وذكرت صحيفة (القبس) في عددها الصادر في ٢٤/ ١/ ١٩٧٩: أن مجلس الأمن القومي الأمريكي، طلبَ من هيئة المخابرات البريطانية تزويد الإدارة الأمريكية بكل ما يتوافر لديها من معلومات تتعلق بالحركة الإسلامية، للاستعانة بها في وضع الخطط الكفيلة بالقضاء على خطرهم قبل فوات الأوان!!

عنصران من عناصر الشر

قال المستشرق الفرنسي (اتيين دينيه) الذي هداه الله للإسلام وتسمى باسم (ناصر الدين):

إن عنصرين من عناصر الشر يتألبان على الإسلام ويهاجمانه في عرينه: وهما رجال السياسة الاستعماريون، ورجال الدين المتعصبون..

رجال السياسة الاستعماريون يحاربون الإسلام؛ لأنه القوة الوحيدة التي أبطلت كيدهم وأفسدت خططهم، والمتعصبون من رجال الدين يدركون الخطر الذي يتهدد وجودهم حين تترك حرية التفكير للإنسان الأوربي، فيكتشف الحقيقة التي طمسوا معالمها بالتزوير والبهتان والزيف، وحينئذ يتغير كل شئ.

لئلاَّ يكتسح الإسلام أمريكا

حكى مؤلف (في ظلال القرآن) عليه الرحمة والرضوان أنه لما كان في أمريكا سنة ١٩٤٨ وجد فيها مدارس تسمى مدارس الأحد تفتح يوم الأحد فقط من كل أسبوع، وينتسب إليها شباب وشابات أمريكيات ومهمة هذه المدارس الرئيسة: تشويه الإسلام في نظر الشبيبة الأمريكية!!

يقول -رحمه الله-: سألتُ إحدى المدرسات في إحدى هذه المدارس وقلت لها:

أراكم تهتمون بتشويه الإسلام هذا الاهتمام الكبير مع أنَّ المسلمين متخلفون اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وعسكرياً؟!!

فأجابتني قائلة: لا تنسَ -وأنا أجيبك- أني نصرانية إن العالم اليوم فيه ثلاثة أديان رئيسة: النصرانية واليهودية والإسلام. فأما النصرانية، فهي ديانة مفككة، ولولا حديدنا ونارنا وعلمنا وأموالنا ما بقيت لها مكانتها اليوم.

وأما اليهودية، فقد غدت ديانةً عنصريةً منغلقة، حتى إن اليهود أنفسهم لا ينشرونها.

وأما الإسلام، فهو الديانة التي لا يقف زحفها السدود والقيود، وترانا الآن نشوهها في نظر شبيبتنا؛ خشية أن يأتي يوم يكتسح فيه الإسلام أمريكا.

هكذا خطط الأعداء

قال الحاكم البريطاني العام للهند في مطلع القرن العشرين:

(إننا وضعنا مناهج دراسية للمسلمين: إن أخذوا بها انسلخوا من إسلامهم، وإن تركوها ماتوا جوعاً).

وقال المستشرق (شاتلي):

(إن أردتم أن تغزو الإسلام وتخضدوا شوكته وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة... فعليكم أن توجهوا جهود

هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم المعنوي، وكتابهم القرآن، وتحويلهم عن كل ذلك بوساطة نشر ثقافتكم وتاريخكم، وحتى ولو لم نجد إلاَّ المغفلين منهم والسذج البسطاء لكفانا ذلك؛ لأن الشجرة يجب أن يتسبب لها في القطع أحد أعضائها).

نظرة الغرب إلى الإسلام

قال (روبرت بين) في مقدمة كتابه الذي سماه (السيف المقدس):

(علينا أن ندرس العرب ونسبر أفكارهم، لأنهم حكموا العالم سابقاً، وربما عادوا إلى حكمه مرةً أُخرى. والشعلة التي أضاءها محمد لا تزال مشتعلة بقوة. وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الشعلة لا تطفأ؛ ولهذا كتبتُ هذا الكتاب؛ لكي يقف القرَّاء على أصل العرب، وسميته باسم السيف ذي النصلين الذي ناله محمد في وقعة بدر، تذكاراً لانتصاره؛ لأن السيف أصبح رمزاً لمطالبه الإمبريالية).

وبغض النظر عمّا في هذا الكلام من تحامل، وما يغلي به من حقد، فهو يبينُ لنا مبلغ قوى المسلمين في نظر الأجانب عنهم، وهم اليوم يسمون الإسلام (الخطر الأخضر) بعد أن زال (الخطر الأحمر) بانهيار الاتحاد السوفيتي، وبعد أن تقاربوا مع (الخطر الأصفر) المتمثل في الصين. والإسلام ليس خطراً إلا على الإلحاد والفساد والانحلال والاستعباد.

مؤامرة دقيقة

كان نظام التعليم الغربي محاولة عميقة وخفية لإبادة العنصر الإسلامي والفضاء عليه، وانتقل مفكرو الغرب من طريقتهم الممقوتة القديمة التي كانوا يؤثرونها في إبادة الأجيال والفتك بها إلى هذه الطريقة الجديدة التي قرّروا صوغها في قالبهم، فأسسوا لهذا الغرض مراكز كثيرة باسم الكليات والجامعات. وقد عبَّرَ عن هذه الحقيقة التاريخية أحسن تعبير الشاعر الإسلامي (أكبر) الاله آبادي في أسلوبه الطريف الخاص، إنه يقول في بيته السائر:

(يا لبلادة فرعون الذي لم يصل تفكيره إلى تأسيس (الكليات)، وقد كان ذلك اسهل طريق لقتل الأولاد، ولو فعل ذلك لم يلحقه العار وسوء الأحدوثة في التاريخ).

كما أوضح الفرق بين ساسة الشرق والغرب في بيت آخر يقول:

(إنَّ أهل الشرق يقضون على العدو بشدخ رأسه، ولكن الغربي يغير طبيعته وقلبه).

وجاء إقبال بعده بعدة سنوات، وقد اكتوى بنار نظام التعليم الغربي شخصياً، وخاض في دراسته... فيقول:

(إياك وأن تكون آمنا من العلم الذي تدرسه، فإنه يستطيع أن يقتل روح أمةٍ بأسرها).

ويقول:

(إن التعليم هو (الحامض) الذي يذيب شخصية الكائن الحي، ثم يكوِّنها كما يشاء. إنَّ هذا (الحامض) أشدُّ قوةً وتأثيراً من أيِّ مادة كيمائية، هو الذي يستطيع أن يحوِّل جبلاً شامخاً إلى كومة تراب).

ويقول:

(إن نظام التعليم الغربي، إنما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة).

هكذا يخططون

يقول (انطوني ناتنج) في كتابه (العرب):

(منذ أن جمع محمدﷺ أنصاره الأولين في مطلع القرن السابع وبدأ أول خطوات الانتشار العربي، أصبح على العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة وصلبة تواجه عبر البحر الأبيض)[1].

---

(١) القومية والغزو الفكري تأليف محمد جلال كشك ص٢١. مطابع دار الغد الناشر: مكتبة الأمل. الكويت.

العدو هو الإسلام

وقال جياني ديميكليس رئيس المجلس الإداري الإسلامي:

(صحيح أنّ المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة، إلا أنّ ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربي والعالم الإسلامي)[1].

وقال ويلي كلاس السكرتير العام السابق لحلف الناتو:

(الإسلام والثقافة الإسلامية يمكن أن يحلا محل الشيوعية التي سقطت كأبرز عدو للغرب)[2].

وقالت مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا:

(لا تستطيع فكرة أن تعيش بدون عدو يواجهها، ونحن –دول الغرب– من أجل ديمومة بقائنا لابد لنا من عدو. الاتحاد السوفيتي سقط ولم يعد عدونا، لابد من البحث عن عدو جديد، هذا العدو هو الإسلام)[3].

وتكتب مجلة (شؤون دولية) في عدد كانون الثاني سنة ١٩٩٠ فتقول:

(إنّ الغرب والفكر الشائع في الغرب–وليس مجرد دائرة من دوائر الغرب–يرى أنّ العدو الجديد هو الإسلام؛ لأنّ الإسلام أثبت أنّه حالة استثنائية في مقاومة العلمنة، فرغم العلم الحديث والتصنيع، استعصى الإسلام على العلمنة، ولا يزال الإيمان الديني عند أهله قوي السيطرة، بل إنّه اليوم أشد مما كان منذ ١٠٠ عام، ومن ثم فإنّ الثقافة الإسلامية هي التحدي الوحيد للحضارة الغربية التي تتصف بالشك والتحلل واللاأدرية)[4].

يقول الإستاذ الدكتور مراد هوفمان الذي تسنّم عددا من المناصب المهمة في ألمانيا، وكان سفيرا لها في المغرب، وقد هداه الله للإسلام، وقد ألّف عددا من الكتب في الإسلام،

---

(١) أقوال وتصريحات قادة الغرب ضد الإسلام، تأليف: عامر شماخ، ص٧١.

(٢) أقوال وتصريحات قادة الغرب ضد الإسلام، ص٧١.

(٣) أقوال وتصريحات قادة الغرب ضد الإسلام، ص٧١.

(٤) الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين ص١٥.

يقول هذا الرجل:

(لقد أمضيت أربع سنوات من عمري، مديرا إعلاميا لحلف الأطلنطي، ورأيت كيف يخططون لإبادة الإسلام وتشويه صورته)[1].

ولا يظنن أحد أنّ هذه الحرب التي يقودها الغرب –وبخاصة أمريكا– هي ضد الإرهاب كما يدعون بل هي ضد العقيدة الإسلامية، وقد كتب المفكر الاستراتيجي الأمريكي (فرنسيس فوكوياما) بعد أحداث الحادي عشر من أيلول:

(إنّ الصراع الحالي ليس ببساطة ضد الإرهاب، ولكنّه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية، التي تقف ضد الحداثة الغربية –وضد الدولة العلمانية– وهذه هي الايدولوجية الأصولية تمثل خطرا أكثر حساسية –في بعض جوانبه من الخطر الذي شكلته الشيوعية: والمطلوب هو حرب داخل الإسلام حتى يقبل الحداثة الغربية، والعلمانية الغربية، والمبدأ المسيحي: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله)[2].

القرآن واللغة العربية

قال الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر:

(إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية: فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم)[3].

وقال (غلادستون) رئيس وزراء بريطانيا السابق:

(ما دام هذا القرآن موجوداً –في أيدي المسلمين– فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان)[4].

---

(١) الإسلام والمسلمون في مواجهة الحملات الإعلامية المعاصرة د.عبد الستار فتح الله سعيد ص٤٥ نقلا عن كتاب (حضارة العصر، الوجه الآخر) فقرة: التخدير بالحوار الديني ص٦٢ وما بعدها.

(٢) وا محمداه، جمع وترتيب الدكتور: سيد بن حسين العفاني ١/ ١٧٧.

(٣) قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله ص٣١.

(٤) الإسلام على مفترق الطرق تأليف محمد أسد ص٤١ ترجمة الدكتور عمر فروخ. الطبعة الرابعة ١٩٦٢. دار العلم للملايين. بيروت.

قالوا في الإسلام

قالوا في الإسلام

هناك عدد كبير من فلاسفة الغرب والشرق ومفكريه شهدوا بعظم الشريعة الإسلامية أوردنا قسماً من تلك الشهادات في كتاب (روائع إسلامية) بجزئيه الأول والثاني وكتاب (روائع وطرائف). ونورد هنا قليلاً من شهاداتهم لا لنزداد بذلك إيماناً بأهمية هذه الشريعة، ولكن لنضع هذه الشهادات أمام (مثقفينا) ممن تأثر بثقافة الغرب أو الشرق:

قال مورو بيرجر: (لم يتقدم الإسلام بنظرية دينية فحسب، بل بقانون شرعي وأخلاقي، وبمنهج اجتماعي وثقافي كذلك)[1].

وقال ليون روش الفرنسي في كتابه (ثلاثون عاماً في الإسلام):

(وجدتُ هذا الدين أفضل دين عرفته؛ فهو دين إنساني طبيعي اقتصادي أدبي)[2].

وقال المستر ويلز وهو من أكبر مؤرخي الإنكليز:

(إن الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية كيفما سارت هو الدين الإسلامي. ولو طلب مني تحديد تعريف الإسلام في عبارة واحدة لقلت: الإسلام هو المدنية المرتقبة)[3].

وقال ادوار مونتيه مدير جامعة جنيف:

(وفضلاً عن الأيمان، فالإسلام تمشى مع الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وله ميزة عجيبة على التكيف بحسب المحيط، وعلى تكييف المحيط حسب ما يقتضيه هذا الدين القوي. ولا شك أنه يُعَد من أكبر وسائل تمدين الناس وترقية

---

(١) الإسلام في المعترك الحضاري للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري ص٣١.

(٢) الإسلام في نظر أعلام الغرب للأستاذ حسين باسلامة ٥٠-٥١.

(٣) الإسلام والحضارة العالمية للأستاذ محمود أبو الفيض ص١٤.

أحوالهم الاجتماعية والخلقية والاقتصادية)[1].

وقال هنري دي شامبون: (نحن الغربيين مدينون للشعوب الإسلامية بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة، وحسبها أنها كانت مثال الكمال البشري في مدة ثمانية قرون، بينما كنا يومئذ مثال الهمجية)[2].

وقالت الدكتورة (اليس ليختسندر) أستاذة الإسلاميات بجامعة (فرانكفورت) سابقاً:

(لقد أثبتُّ في كتابي (الإسلام والعصر الحديث) كيف أن المسلم العصري يعتقد أن كتابه المنزَّل يسمح له -إن لم يوجب عليه- أن يعالج مشروعات عصره بما يوافق الدين، ومن غير أن يضيع من يده ما تحققه العلوم الحديثة من فوائد. ومن المؤكد أن دعاة الإصلاح قادرون على إيجاد السند القوي من القرآن الكريم لكل ما يدعون إليه من جديد، ولكل ما ينتقدونه من تقليد، على أساس أنَّ أهم ميزات الإسلام هو مجيئه في ختام الأديان السماوية، ومن ثم فهو يوافقها في أصول الإيمان، وهو يخالفها في صيغته العامة، فلا يرتبط برسالة محدودة تمضي مع مضي عهدها، ولا بأمة خاصة: فالإسلام هو خاتم الأديان، ويراد به الدوام، ولكل ما يراد به الدوام ينبغي أن يوافق كل جيل، وأن يصلح لكل أوان)[3].

وقال العلامة سانتيلانا:

(إن في الفقه الإسلامي ما يكفي المسلمين في تشريعهم المدني إن لم نقل إن ما فيه يكفي للإنسانية كلها)[4].

وقال المؤرخ الكبير ادوارد جيبون صاحب كتاب (تدهور الإمبراطورية الرومانية وسقوطها):

---

(١) الإسلام في نظر أعلام الغرب ص٩٠.

(٢) الإسلام في نظر أعلام الغرب ص١٠١.

(٣) مجلة الوعي الإسلامي العدد ٤٥ لسنة ١٩٦٨.

(٤) شريعة الكمال تشكو من الإهمال للأستاذ عبد الوهاب رشيد صالح ص٤٩.

(إن الشريعة الإسلامية تشمل الناس جميعاً في أحكامها من أعظم ملك إلى أقل إنسان، وهي شريعة لا يوجد لها مثيل في العالم)[1].

وقال الإمبراطور غليوم -إمبراطور ألمانيا- بعد زيارته لبيت المقدس سنة ١٨٩٧م:

(كنت أحدث نفسي لو لم يكن لي دين عند وصولي إلى بيت المقدس لكنت قد اعتنقت الدين الإسلامي حتماً؛ لأن تعاليمه تتمشى مع كل الناس وفي كل زمان ومكان)[2].

القرن القادم هو قرن الإسلام

قال ذلك الدكتور (مراد هوفمان) في كتابه (الإسلام عام ٢٠٠٠) الذي أَكَّدَ فيه أن الفرص متاحة أمام الإسلام ليصبح ديانة العالم الأولى في القرن ٢١.

وقال ذلك -أيضاً- (جيم ميران) عضو لجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس الأمريكي، الذي دعا قومه إلى وجوب التعرف على الإسلام دين السلام والمسامحة، الدين الذي يحث على الكد والاجتهاد، ويحب النظام والالتزام، ويفيض بالحب واللطف. وهو يعتبر الرسول محمداً ﷺ أعظمَ إنسان عرفه التاريخ، ويجب التعرف على جوانب عظمته التي كان يتمتع بها، وكذلك عدد كبير من أصحابه. وكل شعوب العالم يجب أن تتعرف على التعاليم التي جاء بها محمد ﷺ، ولكن للأسف لم يحدث ذلك لسببين:

الأول: هو اتخاذ غير المسلمين موقفاً من هذه التعاليم، منطلقُه التعصب والتحيز والجهل.

الثاني: هو عدم سعي المسلمين حثيثاً لإطلاع غيرهم على عظمة دينهم.

وقال: أنا اعتقد أن القرن القادم هو قرن الإسلام، وقرن الثقافة الإسلامية،

---

(١) مجلة البعث الإسلامي العدد الرابع المجلد ١٩. الهند سنة ١٩٧٤م.

(٢) حضارة الإسلام العدد ٩ لسنة ١٩٦٧.

وستكون هذه فرصة لإحلال مزيد من السلام والرفاهية في كل بقاع العالم[1].

حاجة العالم المعاصر

شعر بأهمية مبادئ الإسلام في حل مشكلات المجتمعات، والأخذ بيدها إلى طريق السعادة الحقيقية عدد ليس بالقليل من علماء الغرب المنصفين؛ فقال أحد كبار أساتذة الإسلاميات في أمريكا: Charles L.Gedder في كلمته التي ألقاها في ١٣/ مايو سنة ١٩٦٦ في كراتشي قال:

(إن الإسلام يملك جميع الخصائص التي تستطيع أن تنشر السلام والانسجام في العالم. إن الغرب يؤمِّلُ من المسلمين الذين يحملون الدين الذي أنزله الله، وكان لهم ماضٍ مجيد مشرق أن يُقدِّموا مبادئ الحياة وفلسفتها إلى الغرب، وبذلك يستطيعون أن يحملوا راية السلام التي عُيِّنت لهم في عالم الغد).

قالوا في الشريعة الإسلامية

قال (هوكتنج) أستاذ القانون بجامعة (هارفار) في كتابه (روح السياسة العالمية):

(إن سبيل تقدم الممالك الإسلامية ليس في اتخاذ الأساليب الغربية التي تدَّعي أن الدين ليس له أن يقول شيئاً في حياة الفرد اليومية وعن القانون والنظم السماوية، وإنما يجب أن يجد المرء في الدين مصدراً للنمو والتقدم. وأحياناً يتساءل البعض: عما إذا كان نظام الإسلام يستطيع توليد أحكام جديدة، وإصدار أحكام مستقلة تتفق وما تطلبه الحياة العصرية؟

فالجواب عن هذه المسألة: هو أن في نظامه كل استعداد داخلي للنمو لا بل إنه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيراً من النظم المماثلة. والصعوبة لم تكن في انعدام وسائل النمو والنهضة في الشرع الإسلامي، وإنما في انعدام الميل إلى

---

(١) المبشرات بانتصار الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي ص٩٢-٩٣.

استخدامها. وإني اشعر بكوني على حق حين أُقرر: أنَّ الشريعة الإسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادئ اللازمة للنهوض).

الفقه الإسلامي والتطور

المزايا الناصعة للفقه الإسلامي هي التي حملت القانوني الكبير الدكتور (عبد الرزاق السنهوري) أن يدلي بهذه الشهادة القيمة فيقول:

(أما جعل الشريعة الإسلامية هي الأساس الأول الذي يبنى عليه تشريعنا المدني، فلا يزال أُمنية من أعزِّ الأماني التي تختلج في الصدور، وتنطوي عليها الجوانح)[1].

ويقول العلامة الأستاذ (شيرل) عميد كلية الحقوق بجامعة (فينا) في مؤتمر الحقوقيين سنة ١٩٢٧م:

(إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد ﷺ إليها إذ إنه رغم أُميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون -نحن الأوربيين- أسعد ما نكون، لو وصلنا إلى قمته بعد آلفي سنة)[2].

ويقول المؤرخ الإنكليزي (ويلز):

(إن أوربا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانيننا الإدارية والتجارية)[3].

ويقول الفيلسوف (برناردشو):

(إنني دائماً احترم الدين الإسلامي غاية الاحترام، لما فيه من القوة والحيوية. فهو -وحده- الذي يظهر لي أنه يملك (القوّة المحوِّلة)، ويتمشى مع مصلحة البشر في كل زمان)[4].

---

(١) المشروعية الإسلامية العليا للأستاذ علي جريشة ص٤٥. الطبعة الأولى ١٣٩٦. مكتبة وهبة.

(٢) شريعة الإسلام للأستاذ يوسف القرضاوي ص٩٨. الطبعة الثانية. المكتب الإسلامي.

(٣) شريعة الإسلام ص٩٩.

(٤) الحديقة للأستاذ محب الدين الخطيب ١١/ ١٩٨.

رجال القانون والشريعة الإسلامية

قال المستر (ولز) وهو من رجال القانون الإنكليز:

(كل شريعة لا تسير مع المدنية في كل طورٍ من أطوارها فأضرب بها عرض الحائط ولا تبال بها، لأن الشريعة التي لا تسير مع المدنية جنباً إلى جنب هي شر مستطير على أصحابها تجرُّهم إلى الهلاك، وإن الشريعة التي وجدتها تسير مع المدنية أنى سارت هي الشريعة الإسلامية، وإذا أراد إنسان أن يعرف شيئاً من هذا فليقرأ القرآن وما به من نظريات علمية وقوانين وأنظمة لربط المجتمع: فهو كتاب ديني علمي اجتماعي تهذيبي خلقي تاريخي، وكثير من أنظمته وقوانينه تستعمل حتى في وقتنا الحالي، وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة، وهل في استطاعة إنسان أن يأتيني بدور من الأدوار كانت فيه الشريعة الإسلامية مغايرة للمدنية والتقدم)[1]؟

ويقول رجل القانون الدكتور السنهوري:

(إذا كان بعض المستشرقين خيِّلَ إليه أنَّ مبادئ الشريعة الإسلامية جامدة لا تتطور، فذلك يرجع إلى أنَّ هؤلاء المستشرقين ليسوا من رجال القانون: فهم ينظرون إليها نظرة المؤرِّخ لا نظرةَ الفقيه، وإلاَّ فإن رجال القانون ممن درسوا الشريعة الإسلامية يختلفون مع هؤلاء المستشرقين في نظرتهم لها)[2].

المسلمون بناة الحضارة

قال العلامة (دريبر) في كتابه (المنازعة بين العلم والدين):

(إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الإسكندرية سنة ٦٣٨م أي بعد موت محمد ﷺ بست سنين. ولم يمض عليهم -بعد ذلك- قرنان من الزمان، حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية اليونانية، وقدَّروها قدرها

---

(١) الفقه الإسلامي بين المثالية والواقعية للدكتور محمد مصطفى شلبي ص١١٠. الناشر: الدار الجامعية/ بيروت ١٩٨٢.

(٢) الفقه الإسلامي بين المثالية والواقعية ص١٠٩.

الصحيح. ولَّما آلت الخلافة إلى المأمون سنة ٨١٣م صارت بغداد العاصمة العلمية العظمى في الأرض. فجمع الخليفة إليها كتباً لا تحصى، وقرَّب إليه العلماء، وبالغ في الحفاوة بهم).

وقال العالم الفرنسي الدكتور (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب):

(نثبت الآن أن تأثير العرب في الغرب كتأثيرهم في الشرق. وإن أوربا مدينة للعرب بحضارتها. رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجاً يسكنها أمراء إقطاعيون متوحشون يفخرون بعجزهم).

وقال العلامة ل.ا. سيديو في كتابه (تاريخ العرب العام):

(كان المسلمون في القرون الوسطى منفرين في العلم والفلسفة والفنون، وقد نشروها أينما حلَّت أقدامهم، وتسربت عنهم إلى أوربا؛ فكانوا هم سبباً لنهضتها وارتقائها).

وقال العلامة (ليبيري):

(لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا الحديثة عدة قرون).

من أقوال المنصفين من غير المسلمين

قال القانوني الإيطالي (بيولا كازيلي) -وكان يعمل مستشاراً لوزارة العدل، ورئيساً للجنة الحكومية الإيطالية زمناً طويلاً - وهو يوجِّهُ خطابه إلى المسؤولين في مصر في عهد مضى، وما أحراه اليوم أن يكون خطاباً لكل المسؤولين في ديار الإسلام كافة:

(يجب على مصر أن تستمدَّ قانونها من الشريعة الإسلامية، فهي أكثر من غيرها اتفاقاً مع روح البلد القانونية).

وقال الفيلسوف (جيبون):

(القرآن مُسلَّمٌ به من حدود الاقيانوس إلى نهر الفانك بأنه الدستور الأساس ليس لأصول الدين فحسب - يعني بذلك التعبد في مفهوم الغرب - بل للأحكام الجنائية والمدنية والشرائع التي عليها مدار حياة نظام المجتمع الإنساني وترتيب شؤونه).

وقال الفيلسوف الفرنسي المعروف (جان جاك روسو) في كتابه (العقد الاجتماعي):

(إن محمداً قد أقام نظاماً سياسياً بارعاً لحكم دولته، وقد كان ذلك سرّ قوة خلفائه الذين أتبعوه في حكم المسلمين ما داموا ملتزمين لنظامه).

وهناك قراران صادران عن المؤتمر الدولي المنعقد في (لاهاي) للقانون المقارن:

أحدهما في سنة ١٩٣٢ يقول: (إنَّ الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر القانون المقارن. وبهذا صارت مصادر القانون المقارن في نظرهم أربعة: الفرنسي والألماني والإنجليزي والشريعة الإسلامية).

والثاني في سنة ١٩٣٨ يقول: (إنَّ الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة بذاتها، ليس لها صلة بالقانون الروماني ولا بأيِّ تشريع آخر).

كلمة حق من صاحب ضمير حيّ

قال العالم الفرنسي -عضو الأكاديمية الفرنسية- كلود فارير:

(في عام ٧٣٢م ألَّمت بالإنسانية كارثة، قد تكون اكثر الكوارث شؤماً في العصر الوسيط كله. وقد غرق فيها العالم الغربي طوال ثمانية قرون في مهاوي بربرية كان عصر النهضة قد بدأ يبددها والتي قوّاها عصر الإصلاح من جديد. هذه الكارثة التي أكره حتى ذكرها: هي الانتصار المقيت الذي أحرزه قرب بواتيه متوحشو الهاركاس من محاربي الفرانك بقيادة الكارولنجي شارل مارتل على الكتائب العربية والبربرية التي لم يعرف القائد عبد الرحمن أن يحشدها بما يكفي، فتراجعت

وفشلت. لقد تقهقرت المدنية في هذا اليوم المشؤوم ثمانمائة عام؛ وذلك أنه يكفي أن يكون الإنسان قد شاهد حدائق الأندلس، أو البقايا المدهشة لعواصم السحر والحلم: إشبيلية، غرناطة، قرطبة، طليطلة، لكي يستشف في دوار معجز ما كانت قد آلت إليه فرنسا، وقد خلّصها الإسلام الحاذق الفيلسوف المسالم السمح من أهوال لا تسمَّى اجتاحت على الأثر بلاد الغال القديمة، التي خضعت بادئ الأمر للعصابات الأوسترازية المتوحشة، ثم جزئت ومزقت وأغرقت في الدماء والدموع، وأفرغتها من الرجال الحروب الصليبية، وأُتخمت بالجثث من جرّاء حروب كثيرة أهلية وأجنبية، في حين كان العالم الإسلامي من الوادي الكبير إلى الأندلس ينمو وينتصر بسلام في ظل الأمويين والعباسيين والسلاجقة. سأسأل فيما بعد هؤلاء الفرنسيين. ماذا يفكرون في انتصارنا عام ٧٣٢ على المسلمين؟ وعما إذا كانوا يحكمون معي أن هذا الانكسار الذي أصاب شعباً متمدناً على يد شعب بربري، كان بالنسبة للإنسانية جمعاء مصيبة كبرى..)؟

من أقوال الغربيين في الرسول ﷺ

قال (تولستوي) الحكيم الروسي:

(ومما لا ريب فيه أن النبي محمداً ﷺ - كان من عظام الرجال المصلحين، الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة - ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أُوتي قوة، ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والإكرام).

وقال (وليم موير) في كتابه (سيرة محمد):

(امتاز محمد ﷺ بوضوح كلامه ويسر دينه، وقد أتمَّ من الأعمال ما يُدهش العقول. ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع الفضيلة في

زمن قصير كما فعل محمد).

وقال (جان جاك روسو) في القرن الثامن عشر:

(من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه! ولو أنه سمع محمداً ﷺ يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة، وذاك الصوت المقنع المطرب المؤثر في شغاف القلوب، ورآه يؤكد أحكامه بقوّة البيان، لخرَّ ساجداً على الأرض وناداه: أيها النبي رسول الله، خذ بأيدينا إلى مواقف الشرف والفخار، أو مواقع التهلكة والأخطار؛ فنحن من أجلك نودُّ الموت أو الانتصار).

شهادات في الإسلام والحضارة الإسلامية

قال المؤرخ الهولندي (رينهاردت دوزي) في كتابه (نظرات في تاريخ الإسلام):

(بينما أهل أوربا نائمون في ظلام الجهالة لا يرون الضوء إلاَّ من سمّ الخياط إذ سطع نور قوي من جانب الأمة الإسلامية من علوم وأدب وفلسفة وصناعات وأعمال يد وغير ذلك، حيث كانت مدن بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وفارس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة للعلم والمعرفة. ومنها انتشرت العلوم والفنون والآداب بين الأمم التي استفادت منها على نطاق واسع).[1].

وقال العلامة الفرنسي (جوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب):

(تشتقُّ سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض. وفي هذه السهولة سرُّ قوّةَ الإسلام. والإسلام وإدراكه سهل خالٍ مما نراه في الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم غالباً من المتناقضات والغوامض؛ ولا شيء أكثر وضوحاً وأقلّ غموضاً من أصول الإسلام القائلة بوجود إلهٍ واحد وبمساواة جميع الناس أمام

(١) جذور البلاء للأستاذ عبد الله التل ص٢٣٣. ط٢. المكتب الإسلامي.

الله)[1].

ولعلَّ من أروع الشهادات التي أدَّاها غير المسلمين في حق الإسلام شهادة (الباندیت جواهر لال نهرو) في رسائله إلى ابنته، حيث أبدى لها دهشته من هذا الشعب العربي الذي ظلَّ منسياً أجيالاً عديدة، بعيداً عما يجري حوله، ثم استيقظ فجأةً، وقام بنشاط عجيب أدهش العالم وقلبه. وقصَّ نهرو على ابنته شيئاً من تاريخ العرب وانتشارهم في آسيا وأوربا وأفريقيا، والحضارة الراقية والمدنية الزاهرة التي قدّموها للعالم، التي تعد أعجوبة من أعاجيب التاريخ. ثم اعترف لأبنته بأن الباعث على هذه اليقظة العربية هو الإسلام، بما بثّه في أتباعه من ثقة ونشاط عظيمين، مضافاً إليهما رسالة الأخوة والعدل والمساواة بين جميع المسلمين. وقارن نهرو بين رسالة الإسلام هذه وبين النصرانية المنحلة، ووصل إلى السرِّ في تأثير رسالة الإسلام على جميع الشعوب التي وصل إليها العرب)[2].

قالوا في القرآن الكريم

درسَ القرآن جماعةٌ من المستشرقين وغيرهم بقصد الطعن فيه لحساب دولهم المستعمرة. لكنّ المنصفين منهم لم يلبثوا أن فارقوا دينهم، ودخلوا في دين الله، بعد أن عرفوا أنه الدين الحق. وهذا بعض ما قاله المنصفون من الأوربيين في القرآن:

١- قال المستشرق (سيل): (إنَّ أُسلوب القرآن جميل وفياض، ومن العجب أنه يأسر بأسلوبه أذهان المسيحيين فيجذبهم إلى تلاوته، سواء في ذلك الذين آمنوا به أم الذين لم يؤمنوا به وعارضوه).

٢- وقال (هرشفلد): (ليس للقرآن مثيل في قوة إقناعه وبلاغته وتركيبه، وإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة نواحيها في العالم الإسلامي).

---

(١) حضارة العرب ص١٢٥.

(٢) صراع مع الباطل ص١٠٤.

٣- وقال المستشرق (ليون): (حسب القرآن جلالة ومجداً أنَّ الأربعة عشر قرناً التي مرّت عليه، لم تستطع أن تخفف ولو بعض الشيء من أسلوبه الذي لا يزال غضاً كأنّ عهده بالوجود أمس)!

٤- وقال الدكتور موريس بوكاي رئيس جمعية الجراحين الفرنسيين:

(إن القرآن الكريم افضل كتاب أخرجته العناية الأزلية لبني البشر، وإنه كتاب الله لا ريب فيه).

٥- وقال الفيلسوف والأديب الألماني (غوته):

(إن تعاليم القرآن عملية ومطابقة للحاجات الفكرية).

٦- وقال عالم البحار الفرنسي (جاك كوستو):

(الآن اشهد وأعتقد أن القرآن الكريم هو وحي من الله، وأن محمداً هو ولي الله ورسوله، وأن العلم المعاصر يحبو في أثر ما جاء به في أناءة وصبر على فترة أربعة عشر قرناً مضت من الزمان).

٧- وقال أستاذ علم النفس الأمريكي (آرثر كن) وقد أسلم:

(إنَّ هذا القرآن كتاب رباني مقدس، لا يضارعه كتاب في الدنيا).

٨- وقال المستشرق كاسيتري:

(إن القرآن يستولي على الأفكار، ويأخذ بمجامع القلوب، ولقد نزل على محمد ﷺ دليلاً على صدق رسالته).

لهذا أسلمت

قال الدكتور (جرينيه) الذي كان عضواً في مجلس النواب الفرنسي، وقد سئل عن سبب إسلامه فقال:

(إني تتبعت كلَّ الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتي درستها من صغري، وأعلمها جيِّداً، فوجدتُ هذه الآيات منطبقة كلَّ الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمتُ لأني تيقنت أنَّ محمداً ﷺ أتى بالحق

الصراح من قبل أكثر من ألف سنة، ولو أنَّ كل صاحب فن من الفنون، أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلَّمَ جيداً كما قارنتُ -أيضاً- لأَسلَمَ -بلا شك- إن كان عاقلاً خالياً من الأغراض).

من مكارم الأخلاق

الرسول ﷺ في بيته

كان الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يحيا حياة الكفاف والدنيا من حوله خاضعة له، تضع تحت تصرفه المال والحياة الناعمة، غير أنه ﷺ يأبى أن يكون الحكم وسيلةً من وسائل الإستغلال، وأسلوباً من أساليب الثراء والعظمة الزائفة: فعن عروة عن عائشة -رضي الله عنها- أنها كانت تقول:

(والله يا ابن أخي إِنْ كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاث أهلةٍ في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار. قال: قلتُ: يا خالة، فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلاَّ أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه) رواه مسلم.

وقالت عائشة -رضي الله عنها-: (لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبزٍ وزيت في يوم واحدٍ مرّتين) رواه مسلم.

وقال أبو هريرة ﷺ: (والذي نفسي بيده، ما أشبَعَ رسول الله ﷺ أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا) رواه مسلم.

وعن سماك بن حرب قال: سمعتُ النعمان بن بشير يخطب قال:

(ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا فقال: لقد رأيت رسولَ الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلاً[1] يملأ به بطنه) رواه مسلم.

ولما مات ﷺ لم يترك مالاً ولا عقاراً. وقد ألحَّ على أم المؤمنين عائشة أن تتصدَّق بآخر ما لديه من عرض الدنيا وهي سبعة دنانير فقط.

---

(١) الدقل: اردأ التمر.

ما تحمله الرسول ﷺ في سبيل الدعوة

أخرج أبو نعيم في (دلائل النبوة) عن عبد الرحمن العامري عن أشياخ من قومه قالوا:

أتانا رسول الله ﷺ ونحن بسوق عكاظ، فقال: ممن القوم؟

قلنا: من بني عامر بن صعصعة.

قال: من أيِّ بني عامر؟

قلنا: بنو كعب بن ربيعة.

قال: كيف المنعة فيكم؟

قلنا: لا يُرام ما قِبلَنا، ولا يصطلى بنارنا.

فقال لهم: إني رسول الله، فإن أتيتكم تمنعوني حتى أبلِّغ رسالة ربي ولم أكره أحداً منكم على شئ؟

قالوا: ومن أي قريش أنت؟

قال: من بني عبد المطلب.

قالوا: فأين أنت من بني عبد مناف؟

قال: هم أول من كذبني وطردني.

قالوا: ولكنا لا نطردك ولا نؤمن بك، ونمنعك حتى تبلِّغَ رسالة ربك.. فنزلَ إليهم والقوم يتسوَّقون – أي يبيعون ويشترون – إذ أتاهم (بجرة بن قيس القشيري) فقال:

من هذا الذي أراه عندكم؟ أنكره.

قالوا: محمد بن عبد الله القرشي.

قال: ما لكم وله؟

قالوا: زعم لنا أنه رسول الله ﷺ يطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلِّغَ رسالةَ ربه.

قال: فماذا رددتم عليه؟

قالوا: قلنا في الرحب والسعة، نخرجك إلى بلادنا، ونمنعك مما نمنعُ به أنفسنا.

قال: بجرة: ما أعلم أحداً من أهل هذا السوق يرجع بشيء أشر من شيء ترجعون به! بدأتم لتنابذ الناس، وترميكم العرب عن قوس واحدة! قومهُ أعلمُ به لو انسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به، تعمدون إلى رهيق قوم قد طرده قومه وكذّبوه فتؤونه وتنصرونه؟ فبئس الرأي رأيتم!ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: قُم وألحق بقومك، فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك!

قال: فقام رسول الله ﷺ إلى ناقته فركبها؛ فغمز الخبيث (بجرة) شاكلتها – خاصرتها – فقمصت – نفرت برسول الله ﷺ، وعند (بني عامر) يومئذ (ضباعة بنت عامر بن قرط) كانت من النسوة اللآتي أسلمن مع رسول الله ﷺ بمكة، جاءت زائرة إلى بني عمها، فقالت:

يا آل عامر ولا عامر لي! أيصنع هذا برسول الله ﷺ بين أظهركم لا يمنعه أحد منكم؟!

فقام ثلاثة نفر من بني عمها إلى (بجرة) واثنان أعاناه، فأخذ كلُّ رجلٍ منهم رجلاً فَجَلَدَ به الأرض، ثم جلس على صدره، ثم علوا وجوههم لطماً؛ فقال رسول الله ﷺ:

(اللهم بارك على هؤلاء، والعن هؤلاء).

قال: فأسلَمَ الثلاثة الذين نصروه فقتلوا شهداء، وهلك الآخرون لعناً، وأسم النفر الثلاثة الذين نصروا (بجرة): فراس وحزن بن عبد الله ومعاوية بن عبادة.

وأما اسم الثلاثة الذين نصروا رسول الله ﷺ: فـ (قطريف) و (غطفان) ابنا سهل، و (عروة بن عبد الله).

وأخرجه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في (مغازيه) عن أبيه كما في (البداية) ٣/ ١٤١.

الرسول القائد في غزوة بدر

وقف الرسول الكريم ﷺ -قبيل أن يلتحم المسلمون بالمشركين في غزوة بدر- يعدل صف المسلمين وفي يده قضيب. فمرَّ بسوادَ بن غُزَيّة وهو خارج من الصف، فضربه بالقضيب في بطنه وقال: (استقم يا سواد).

فقال: أوجعتني يا رسول الله وقد بُعثتَ بالحق والعدل فأقدني من نفسك.

فكشف الرسول ﷺ عن بطنه وقال: (استقد يا سواد)

فاعتنقه سواد وقَبَّلَ بطنه.

فقال ﷺ: (ما حملك على ذلك)؟

فقال: يا رسول الله، قد حضر ما ترى؛ فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك.

فدعا له رسول الله ﷺ بخير.

قبيل وفاة النبي ﷺ

لما دنا أجل النبي ﷺ نادى في الناس:

(أيما رجل أصبتُ من ماله شيئاً، فهذا مالي فليأخذه، وأيما رجل كنتُ أصبت من عرضه شيئاً، فهذا عرضي فليقتص، واعلموا أنَّ أولاكم بي رجل كان له من ذلك شيء فأخذه أو حللني، فلقيتُ ربي وأنا طيِّبُ النفس).

فلم يقم إليه أحد من الناس إلا رجل واحد قال:

يا رسول الله، إنَّ لي عندك ثلاثة دراهم؛ فدفعت إليه في الحال.

مزاح النبي ﷺ

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ من أفكه الناس[1]. وروى أنس ابن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس بن مالك، ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط. انظر: المغني عن حمل الأسفار للعراقي ٢/ ٤٠.

(روِّحوا القلوب ساعة بعد ساعة)[1].

وسئل سفيان الثوري: المزاح هجنة؟ فقال: بل سنة؛ لقوله عليه السلام: (إني لأمزح ولا أقول إلا الحق)[2].

وأتت عجوز من الأنصار إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أُدعُ لي بالمغفرة: فقال لها: أما علمتِ أن الجنة لا يدخلها العجائز! فبكت؛ فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال لها: (لستِ يومئذ بعجوز. أما قرأتِ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾)[3].

الرفق بالحيوان

١- عن معاوية بن قرة قال:

كان لأبي الدرداء جمل يقال له (دَمُون). فكان إذا استعاروه منه قال: (لا تحملوا عليه إلاَّ كذا وكذا؛ فإنه لا يطيق أكثر من ذلك). فلما حضرته الوفاة قال:

(يا دَمُون، لا تخاصمني غداً عند ربي؛ فإني لم أكن أحمل عليك إلا ما تطيق) رواه ابن عساكر. وانظر كنز العمال للهندي ٩/ ١٩٣.

٢- عن المسيب بن دارم قال:

رأيت عمر بن الخطاب ﷺ يضرب جمّالاً وهو يقول: (حَمَّلتَ جملك ما لا يطيق) رواه ابن سعد.

٣- روي أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج من المدينة قاصداً بيت المقدس ومعه راحلة واحدة وغلام، فلما صار في ظاهر المدينة قال لغلامه:

---

(١) رواه أبو داوود في مراسيله عن أنس بن مالك. انظر: فيض القدير ٢/ ٤١، والترمذي في الشمائل ١٦٥.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه الترمذي في الشمائل مرسلاً عن الحسن البصري ١٢٢.

نحن اثنان والراحلة واحدة: فإن ركبتُ أنا ومشيت أنت ظلمتك، وإن ركبتَ أنت ومشيتُ أنا ظلمتني، وإن ركبنا الاثنان قصمنا ظهرها، فلنقسم الطريق مثالثة.

وأخذ عمر يركب مرحلة، ويقود مرحلة، وغلامه كذلك، وتمشي الراحلة أمامهما متخففةً من حمل أحدٍ منهما.

٤- ليس خير الإسلام ورحمته بقاصرة على بني الإنسان، بل هي تشمل كل مخلوق ذي حياة قال ﷺ:

(بينما رجل يمشي بطريق اشتدَّ عليه العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش؛ فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر؛ فملأ خُفَّه ماءاً، ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له).

قالوا: يا رسول الله، إنَّ لنا في البهائم أجراً؟

فقال: (في كل كبدٍ رَطبةٍ أجر).

وفي رواية:

(بينما كلب يطيف بركيَّة - بئر - قد كاد يقتله العطش؛ إذ رأته بغيٌّ - زانية - من بغايا بني إسرائيل؛ فنزعت مُوقها - خُفَّها - فاستقت له به، فسقته؛ فغفر لها به).

هكذا يحثُّ الإسلام على الإحسان إلى كل مخلوق ذي حياة.. وإن ذلك من أعمال الخير التي يكافئ الله ﷻ عليها بالثواب العظيم، وتكون سبب المغفرة..

فهل عندكم - يا دعاه الرفق بالحيوان - مثل ما في ديننا من الرحمة التي تعمُّ الحيوان فضلاً عن الإنسان؟

إن العديد من الشعوب اليوم يُرفَقُ بالحيوان ولا يُرفَقُ بها لأنها مذنبة، وذنبها لدى المتعصبين أنها مسلمة.

يشتهي سمكة

عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان مريضاً فاشتهى سمكة طرية، فالتمست له بالمدينة فلم توجد، حتى وجدت بعد كذا وكذا يوماً فاشتريت بدرهم ونصف وشُويت، وحُمِلَت على رغيف. فقام سائل على الباب فقال للغلام: لفها برغيف وادفعها له.

فقال الغلام: أصلحك الله، اشتهيتها منذَ كذا وكذا يوماً فلم تجدها فلما وجدناها واشتريناها بدرهم ونصف أمرتَ أن ندفعها له، نحن نعطيه ثمنها.

قال: لفها وادفعها إليه.

فقال الغلام للسائل: هل لك أن تأخذ درهماً وتدع السمكة؟

فأخذ منه درهماً وردَّها، فعاد الغلام وقال له:

دفعتُ درهماً، وأخذتها منه.

فقال له: لفَّها، وادفعها إليه، ولا تأخذ منه شيئاً؛ فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

(أيُّما امرئٍ اشتهى شهوةً فردَّ شهوته، وآثَرَ بها على نفسه، غفر الله له)[1].

من حديث الإيثار

اجتمع جماعة من الفقراء في موضع لهم، وبين أيديهم أرغفة معدودة لا تكفيهم. فكسروا الرغفان، وأطفؤوا السراج، وجلسوا للأكل. فلما رفع الطعام، إذا هو بحاله، لم يأكل أحد منهم شيئاً؛ إيثاراً لأصحابه.

---

(١) أخرجه الدارقطني في الأفراد، ورواه أبو الشيخ في (الثواب).

الحفاظ على عهد الأم

قال الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله:

بنيتُ أمري – من حين ما نشأت – على الصدق. وذلك أني خرجتُ من مكة إلى بغداد أطلب العلم؛ فأعطتني أُمي أربعين ديناراً استعين بها على النفقة، وعاهدتني على الصدق. فلما وصلنا أرض (همدان) خرج علينا جماعة من اللصوص؛ فأخذوا القافلة. فمرَّ واحد منهم وقال لي: ما معك؟

قلت: أربعون ديناراً.

فظنَّ أني أهزأ به فتركني، فرآني رجل آخر فقال:

ما معك؟

فأخبرته بما معي؛ فأخذني إلى كبيرهم؛ فسألني فأخبرته؛ فقال:

ما حَمَلَكَ على الصدق؟

قلتُ: عاهدتني أُمي على الصدق؛ فأخاف أن أخون عهدها.

فأخذت الخشيةُ رئيس اللصوص، فصاح –ومزَّق ثيابه– وقال:

أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله؟!

ثم أمَرَ بردِّ ما أخذوه من القافلة وقال: أنا تائب على يديك.

فقال مَن معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة. فتابوا جميعاً ببركة الصدق.

غضُّ البصر

من الوقاية التي اتخذها الإسلام خشية فساد المجتمع أن دعا إلى غض البصر، فحرّم نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية ونظر المرأة إلى الرجل الأجنبي إلاَّ في حالات الضرورة المعروفة، قال تعالى:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ

بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ سورة النور.

وحين سأل جرير بن عبد الله ﷺ رسولَ الله ﷺ عن نظر الفجأة أجابه: (اصرف بصرك)[1].

وهكذا يبدو أنَّ غضَّ البصر من أقوى عوامل المناعة ضد الفساد. وما كان عبثاً أن يقول الحق تبارك وتعالى في الحديث القدسي:

(النظرة سهم مسموم من سهام إبليس مَن تَرَكها من مخافتي أبدلتُهُ إيماناً يجدُ حلاوته في قلبه)[2].

على أن الشهوة إذا استثارها الإنسان بالنظر المحرم أتعب نفسه بالتحسر، وإن نظر واستقبح واستهجن ما رآه تألم أيضاً، ففي هاتين الحالتين يكون قد أتعب نفسه وأغضب ربه، وما أروع قول الشاعر:

وكنتَ متى أرسلتَ طرفك رائداً ... لقلبك يوماً أتعبتكَ المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلّهُ أنت قادرٌ ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وقال آخر:

كل الحوادث مبدآها من النظر ... ومعظمُ النار من مستصغر الشرر
كم نظرةٍ فتكت في قلب صاحبها ... فتكَ السهام بلا قوسٍ ولا وتر
والعبد مادام ذا طرفٍ يُقَلِّبه ... في أعين العين موقوف على الخطر
يسرّ مقلته ما ضرَّ مهجته ... لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وقال ابن قيم الجوزية:

يا رامياً بسهام اللحظ مجتهداً ... أنت القتيل بما ترمي فلا تصب

(١) رواه أحمد ومسلم وأبو داوود والترمذي.

(٢) رواه الطبراني والحاكم. وقال الحاكم صحيح الإسناد.

وباعث الطـرف يرتاد الشفاء له توقّــه، إنـــه يرتـــدّ بالعطــب
ترجو الشفاء بأحداقٍ بها مرض فهل سمعتَ ببرء جاء من عطب؟!

ومما هو معروف أن النظرة تجرح القلب جرحاً، فيتبعها جرحاً على جرح، ثم لا يمنعه ألم الجراحة من استدعاء تكرارها. قال ابن قيم الجوزية رحمه الله:

ما زلـت تُتبــعُ نظــرةً فـي نظــرة في إثــر كــل مليحة ومليــح
وتظنّ ذاك دواء جرحك وهو في الـ تحقيـــق تجريـــح على تجريــح
فذبحـت طرفك باللحـاظ وبالبكـا فالقلــب منك ذبيح أيّ ذبيـح

ولقد قيل: إن حبس اللحظات أيسر من دواء الحسرات.

الحياء

هو الكف عن كل ما يستقبحه العقل ويمجّه الذوق، واستنكار كل مالا يرضى بـه الخـالق والمخلـوق: فهـو خُلُقٌ شريـف يمنـع المـرء عـن فعـل المحرمـات وإتيـان المنكرات، ويصونه عن الوقوع في الأوزار والآثام. فمن فَقَدَ الحياء فقد ذهبت آدابُـه أدراج الرياح، وأضحى منبوذاً محروماً من كل خير وفضل. قال رسول الله ﷺ:

(الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار)[1].

وقال ﷺ: (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان)[2].

وقال عليه الصلاة والسلام:- (الحياء لا يأتي إلا بخير)[3].

وقـال: (إنَّ ممـا أدرك النـاس مـن كـلام النبّـوة الأولى: إذا لم تسـتح فأصـنع مـا شئت)[4].

وقال كعب: استحيوا من الله في سرائركم، كما تستحيون من الله في علانيتكم).

---

(١) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري وغيره.

وقال بعض الحكماء: مَنْ كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

وقال آخر: الحياء في الصبيِّ خير من الخوف، لأنَّ الحياء يدلُّ على العقل، والخوف يدل على الجبن.

وقال بعض البلغاء: حياة الوجه بحيائه، كما أن حياة الغرس بمائه.

وقال الشاعر:

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه ... ولا خير في وَجْهٍ إذا قلَّ ماؤه

حياءَكَ فأحفْظهُ عليك وإنما ... يدلُّ على فعل الكريم حياؤه

وقال آخر:

وحاجةٍ دون أخرى قد سنحت بها ... جعلتُها للتي أخفيت عنوانا

وإنني لأرى مَنْ لا حياءَ له ... ولا أمانة وسْطَ القوم عريانا

التواضع

هو تجمل النفس بالخضوع ومنعها من الترفع على الناس والاستخفاف بهم، وحملها على احترامهم مهما اختلفت درجاتهم، وتباينت مشاربهم، وعدم الكبر على أحد سواء في ذلك الوضيع والرفيع، والصغير والكبير، ليحافظ على منزلته في النفوس، ويأخذ مكانته في القلوب.

وهو خصلة محمودة تدعو إلى التوادد والتعاون، وتدلُّ على طهارة النفس، وسلامة الذوق. فكم رَفَعَ التواضعُ أقواماً، فكانوا هم الألى فازوا برضا ربهم والفضل العظيم. وكم خفض الكبرُ آخرين؛ فحلَّ عليهم غضب الرحمن، وباءوا بالخسران المبين. قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة لقمان.

وقال: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ

﴿قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ سورة الفرقان.

وقال: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ سورة القصص.

وقال رسول الله ﷺ:

(إنَّ الله أوحي إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخرَ أحدُ على أحد، ولا يبغي أحد على أحد) رواه مسلم.

وقال: (ما تواضَعَ أحدٌ لله إلاَّ رفعه) رواه مسلم والترمذي.

وقال: (لا يدخل الجنةَ من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر) رواه مسلم.

وقال سعد بن أبي وقاص لأبنه: يا بني، إياك والكِبر، وليكن ما تستعين به على تركه علمك بالذي منه كنتَ والذي إليه تصير.

وقال سفيان: السَّفَلة إذا تعلموا تكبروا، وإذا تموّلوا -أي صاروا أصحاب أموال – استطالوا، والكرام إذا تعلموا تواضعوا؛

وقال بعض الحكماء: مَن نال منزلة فأبطرته دلّ على رداءة أصله وعنصره.

وقال غيره: عجب المرء بنفسه أحد فساد عقله، وليس إلى ما يُكسبه الكِبر من المقت حدّ، ولا إلى ما ينتهي إليه العجب غاية، حتى انه ليطفئ من المحاسن ما إنتشر، ويسلب من الفضائل ما اشتهر، وناهيك بسيئة تحبط كلَّ حسنة، وبمذمة تهدم كل فضيلة، مع ما يثيره من حنق –غيظ– ويكسبه من حقد.

وقال غيره: من برئ من ثلاث نال ثلاثاً: مَن برئ من السَّرَف نال العز، ومَن برئ من البخل نال الشرف، ومَن برئ من الكبر نال الكرامة.

وقال الشاعر:

وأقبحُ شيء أن يَرَى المرءُ نفسه ... رفيعاً وعند العالمين وضيعُ

تَوَاضع تكن كالنجم لاحَ لناظرِ ... على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... على طبقات الجو وهو وضيع

وقال غيره:

يا مظهرَ الكبر إعجاباً بصورته ... أنظر خلاك فإن النتن تثريب
لو فَكَّرَ الناس ما أحوتْ بطونهمُ ... ما استشعَرَ الكِبرَ شبانٌ ولا شيب
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة ... وهو بخمس من الأقذار مضروب
انف يسيل وأذن ريحها سَهكٌ ... والعين مرفضة والثغر ملعوب
يا ابن التراب ومأكول التراب غداً ... أقصِر؛ فإنك مأكول ومشروب

وقال غيره:

إذا شئتَ أن تزداد قدراً ورفعةً ... فَلِن وتَواضع واترك الكِبرَ والعجبا

وقال آخر:

وأحسنُ أخلاق الفتى واجلَّها ... تواضعُه للناس وهو رفيع
وأقبح شئ أن يرى المرء نفسَه ... رفيعاً وعند العالمين وضيع

العفو

هو الصفح عند القدرة عمَّن هفا، وعدم الأخذ بالثأر ممن أرتكب جرماً، وهو من شيم الكرام، يحببُ المرء إلى الناس، ويحفظ قدره بين معارفه، ويزيل ما في القلوب من عداوة وبغضاء، ويدعو إلى الارتباط والائتلاف، لا يعدم صاحبه ناصراً في الدنيا، ولا يُضيَّعُ له أجرٌ في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ سورة الشورى/ ٤٠.

وقال: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ سورة النور/ ٢٢.

وقال: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ سورة البقرة/ ٢٣٧.

وقال: ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة الحجر.

وقال رسول الله ﷺ:

(إنَّ اللهَ عفوٌ يحب العفو) رواه الحاكم.

وقال: (عفُّوا عن نساء الناس تعفَّ نساؤكم، وبرُّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم، ومَن أتاه أخوه مُتَنصِّلاً فَلْيقبلْ ذلك مُحِقّاً كان أو مُبطلاً، فإن لم يفعل لم يَرد عليَّ الحوض) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

وقال: (إذا جمع الله الخلائق نادى منادٍ: أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس وهم يسير؛ فينطلقون سراعاً إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة، فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون: وما فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظُلِمنا صَبَرنا، وإذا أُسيء إلينا حَلمنا؛ فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعمَ أجرُ العاملين) رواه الاصبهاني.

وقال: (ألا أنبئكم بما يشرِّفُ اللهُ به البنيان ويرفع به الدرجات؟) قالوا: نعم يا رسول الله.

قال: (تَحلُمُ على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتُعطي من حَرَمك، وتَصل مَن قطعك) رواه الطبراني والبزار.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: إذا قدرتَ على عدوّك، فاجعل العفوَ شكراً للقدرة عليه.

وقال الأحنف: إياكم ورأي الأوغاد. قالوا: وما رأي الأوغاد؟ قال: الذين يرون الصفح والعفوَ عاراً.

واسمَعَ رجلٌ عمر بن عبد العزيز كلاماً؛ فقال عمر: أردتَ أن يستفزّني الشيطان لعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً! انصرف رحمك الله!!

وقال بعض الحكماء: أفضل الناس مَن تواضَعَ عن رفعة، وعفا عن قدره، وأنصف عن قوّة.

وقال بعض البلغاء: أحسنُ المكارم عفو المقتدر وجود المفتقر.

وقال الشاعر:

إذا ما الذنب وافى بإعتذار فقابلْه بعفو وإبتسام
ولا تحقد وإن مُلِّئتَ غيظاً فإنَّ العفوَ من شيم الكرام

وقال آخر:

إذا اعتذر المسيء إليك يوماً من التقصير عُذرَ فتىً مصرّ
فَصنهُ عن عقابك واعف عنه فإن الصفح شيمةً كلِ حُرّ

وقال غيره:

فإن كنتَ ترجو في العقوبة راحةً فلا تَزهَدَن عند التجاوز في الأجر

وقال أبو الطيب المتنبئ:

وما قتل الأحرار كالعفو عنهمُ ومَن لك بالحرِّ الذي يحفظ اليدا

الصبر

هو تحمّل النفس مكاره الحياة، وعدم الجزع لنوائب الدهر ونكباته، وهو الدواء الشافي لمن ملك الحزن عليه نفسه، قال الله تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ سورة البقرة.

وقال جلَّ شانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ سورة البقرة.

وقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة الزمر.

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ سورة الأحقاف.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يقول الله تعال: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صفيَّه من أهل الدنيا ثمَّ احتسبه إلا الجنة) رواه البخاري.

وقال ﷺ: (ما يصيبُ المسلمَ من نصَبٍ ولا وَصَب ولا هَمّ ولا حَزَنٍ ولا أذىً ولا غمٍ حتى الشوكةُ يُشاكها إلاَّ كَفَّرَ الله بها من خطاياه) متفق عليه.

وقال ﷺ: (مَن يرد اللهُ به خيراً يصِب منه) رواه البخاري.

وعن خباب بن الأرت ﷺ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُردَةً في ظل فقلنا: ألا تستنصرُ لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال:

(قَد كان مَن قبلكم يؤخذُ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضَعُ على رأسه فيجعل نصفين، ويُمشطُ بأمشاط الحديد – ما دون لحمه وعظمه – ما يصده ذلك عن دينه. والله ليُتمَّنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون) رواه البخاري.

وقال ﷺ: (إذا أراد الله بعبده الخير عَجَّلَ له العقوبةَ في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وقال ﷺ: (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وقال ابن المبارك: المصيبةُ واحدة، فإذا جزع صاحبها فهما اثنتان؛ لأن إحداهما المصيبة بعينها، والثانية ذهاب أجره، وهو أعظم من المصيبة.

وحكي أنَّ أعرابية دخلت من البادية فسمعت صراخاً في دار فقالت: ما هذا؟ فقيل لها: مات لهم إنسان!

فقالت: ما أراهم إلاَّ من ربهم يستغيثون، وبقضائه يتبرّمون وعن ثوابه يرغبون.

وقال إبراهيم بن العباس:

ولربَ نازلةٍ يضيقُ بها الفتى ذَرعاً وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فُرِجَت وكان يظنها لا تُفرَجُ

وقال محمد بن بشير الخارجي:

إنَّ الأمـور إذا سُدَّت مسـالكهـا فالصبرُ يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسَـنَّ وإن طـالت مطـالبهـا إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترى فَرَجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمـن القرع للأبواب أن يلجا

ومما ينسَبُ إلى سيدنا عثمان بن عفان ﷺ قوله:

خلـيليَّ لا والله مـا مـن ملمـةٍ تـدوم علـى حـيٍ وإن هـي جلَّـت
فإن نَزَلَت يوماً فلا تَخضَعن لها ولا تكثر الشكوى إذا النعل زلَّتِ
فكم من كـريم قـد بلي بنوائب فصابرها حتى مضت واضمحلت
وكم غمرةٍ هاجت بأمواج غمرةٍ تَلَقيتُهـا بالصـبر حتـى تجلَّـت
وكانت على الأيام نفسي عزيزةً فلما رأت صبري على الذل ذلَّت
فقلـتُ لهـا: يـا نفـس مـوتي كريمـةً فقـد كانت الـدنيا لنـا ثمَّ ولّـتِ

وقال غيره:

إذا بليتَ فثق بـالله وارضَ بـه إنَّ الذي يكشـف البلـوى هـو اللهُ
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته مـا لامـرئ حليـةٌ فـيما قضـى اللهُ
اليأس يقطع أحيانـاً بصاحبه لا تيأسـنَّ؛ فـانَّ الصانـعَ الله

الغيبة

الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكره لو بَلَغَه، سواء ذكرته بنقص في بدنه، أونسبه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه أو دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته.

وقال الحسن البصري ﷺ: ذِكرُ الغير ثلاثة:

الغيبةُ والبهتان والإفك، وكل في كتاب الله ﷻ فالغيبة أن تقول ما فيه.

والبهتان أن تقول ما ليس فيه

والإفك أن تقول ما بلغك.

ولقد حذّر رسول الله ﷺ من الغيبة كثيراً فقال ﷺ:

(يا معشرَ مَن آمَنَ بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من أتّبع عوراتهم تتبَّعَ الله عورته، ومن تتبَّعَ الله عورته يفضحه في بيته)[1].

وقال: (مَن حمى مؤمناً من منافق يغتابه، بعث الله تعالى إليه مَلَكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم...)[2].

وقال: (لما عُرِج بي مررتُ بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحومَ الناس ويقعون في أعراضهم)[3].

وقال في خطبته في حجة الوداع: (إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلّغت)[4]؟

وقال: (مَن ذبَّ عن عِرض أخيه بالغيبة، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار)[5].

وقال الحسن البصري: والله للغيبة أسرعُ فساداً في دين المرء من الآكِلَةِ في الجسد. وقال:

(ابن آدم، إنك لن تبلغ حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناسَ بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحبُّ العباد إلى الله من كان هكذا).

---

(١) رواه أبو داوود في الأدب/ باب في الغيبة/ حديث ٤٨٨٠.

(٢) رواه الإمام أحمد ٣/ ٤٤١.

(٣) رواه ابن أبو داؤد في الأدب/ باب في الغيبة ٥/ ١٩٤/ حديث ٤٨٧٨ وهو حديث مرسل.

(٤) رواه ابن ماجه في الفتن/ باب حرمة دم المؤمن وماله ٢/ ١٢٩٧.

(٥) رواه الترمذي في باب: ما جاء في الذب عن عرض المسلم وقال حديث حسن ٤/ ٣٢٧.

وقال ابن عباس ﷺ: إذا أردتَ أن تذكر عيوب صاحبك فأذكر عيوبك.

وقال أبو هريرة ﷺ: يُبصرُ أحدكم القذاة في عين أخيه ولا يُبصر الجذع في عين نفسه.

وروي عن الحسن البصري أن رجلاً قال له: إنَّ فلاناً قد اغتابك؛ فبعث إليه رطباً على طبق وقال: قد بلغني أنك أهديتَ إليَّ من حسناتك، فأردتُ أن أكافئك...

وقال عوف: دخلت على ابن سيرين فتناولتُ عنده الحجاج؛ فقال: إنَّ الله حَكَمٌ عَدل، ينتقم للحجاج ممن اغتابه، كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه، وإنك إذا لقيت الله تعالى غداً كان أصغر ذنب أصبته أشدَّ عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج.

وقال القرطبي في الغيبة: والإجماع على أنها من الكبائر، وأنه يجب التوبة منها إلى الله تعالى.

وقال ابن حجر الهيتمي: إنَّ فيها أعظم العذاب واشدَّ النكال؛ فقد صحَّ فيها أنها أربى الربا، وأنها لو مزجت بماء البحر انتنته وغيرت ريحه، وأن أهلها يأكلون الجيفة في النار، وأن لهم رائحةً منتنةً فيها، وأنهم يعذبون في قبورهم، وبعض هذه كافية في الكبيرة، فكيف إذا اجتمعت؟!!

وذكِرَ عن إبراهيم بن ادهم – رحمه الله – أنه أضاف أُناساً. فلما قعدوا على الطعام جعلوا يتناولون رجلاً، فقال إبراهيم:

إن الذين كانوا قبلنا يأكلون الخبز قبل اللحم، وأنتم بدأتم باللحم قبل الخبز.

وروى خالد الربعيّ قال:

كنتُ في المسجد الجامع، فتناولوا رجلاً فنهيتهم عن ذلك؛ فكفوا وأخذوا في غيره، ثم عادوا عليه، فدخلتُ معهم في شئ من أمره؛ فرأيت تلك الليلة في المنام كأني أتاني رجل أسود طويل، ومعه طبق عليه قطعة من لحم خنزير؛ فقال لي: كُل.

فقلت آكلُ لحم خنزير، والله لا آكله. فانتهرني انتهاراً شديداً وقال: قد أكلتَ ما هو شرٌّ منه.

فجعل يدسُّه في فمي حتى استيقظتُ من منامي. فوالله لقد مكثتُ ثلاثين يوماً أو أربعين يوماً ما أكلتُ طعاماً إلا وجدتُ طعم ذلك اللحم ونتنه في فمي.

دعاة الاختلاط والتجربة الأمريكية

يدعي دعاة الإباحية: أن السفور والاختلاط بين الرجال والنساء يصرِّف كوامن الشهوة تصريفاً نظيفاً، ويجعل اجتماع الشباب بالشابات أمراً اعتيادياً. وهذا إدعاء كاذب تكذبه التجربة. فإن أكثر المجتمعات التي انتشر فيها اختلاط الشباب بالشابات هي المجتمعات الغربية وبخاصة أمريكا. ولكن هل تهذبت نفوس الناس بهذا الاختلاط (البرئ) كما يقولون؟!

ليسأل هؤلاء عن نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية الأمريكية. فقد بلغت في إحدى المدن ٤٨ في المائة. وليستمع إلى ما نقلته جريدة (الأحد) اللبنانية في العدد ٦٥٠ عن الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية. تقول الجريدة:

– (الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية بين الطلاب والطالبات تتجدد وتزداد كل عام).

– (الطلاب يقومون بمظاهرة في جامعات أمريكا يهتفون: نريد فتيات.. نريد أن نرفه عن أنفسنا).

– يقول عميد جامعة من الجامعات الأمريكية:-

(إن معظم الطلاب والطالبات يعانون جوعاً جنسياً رهيباً، ولا شك أن الحياة العصرية الراهنة لها أكبر الأثر في تصرفات الطلاب الشاذة..).

– وقالت الجريدة: (دلت الإحصائيات في العام الماضي على أن ١٢٠.٠٠٠ مائة وعشرين ألف طفل وطفلة أنجبتهم فتيات بصورة غير شرعية، لا تزيد أعمارهن عن العشرين، وأن كثيرات منهن من طالبات الجامعات والكليات...).

ونقلت الجريدة عن المربية الاجتماعية (مرغريت سميث) قولها:

(إن الطالبة لا تفكر إلا بعواطفها، والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة. إن أكثر من ٦٠ ستين في المائة من الطالبات سقطن في الامتحانات. وتعود أسباب الفشل إلى أنهن يفكِّرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن... وإن ١٠ بالمائة منهن فقط ما زلن محافظات)!!

فهل من متعظ؟ وهل من معتبر؟!

مواساة

قال الواقدي: كان لي صديقان أحدهما هاشمي، وكنا كنفس واحدة، فنالتني ضائقة شديدة وحضر العيد، فقالت امرأتي: أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم،؛ لأنهم يرون صبيان الجيران وقد تزينوا في عيدهم، وأصلحوا ثيابهم، وهم على هذه الحال من الثياب الرثة؛ فلو احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم!

فكتبتُ إلى صديقي الهاشمي، أسأله التوسعة عليَّ؛ فوجَّهَ إليَّ كيساً مختوماً، ذَكَرَ أنَّ فيه ألفَ درهم. فما استقرَّ قراري حتى كتب إليَّ الصديق الآخر؛ يشكو مثلما شكوت إلى صاحبي؛ فوجهتُ إليه الكيس بحاله، وخرجتُ إلى المسجد فأقمتُ فيه ليلي مستحيياً من امرأتي! فلما دخلتُ عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنِّفني عليه.

فبينما أنا كذلك؛ إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي: أصدقني عمّا فعلته فيما وجهت إليك. فعرَّفته الخبر على وجهه فقال:

إنك وجهت إليَّ وما أملك على الأرض إلاَّ ما بعثتُ به إليك، وكتبتُ إلى

صديقنا أسأله المواساة؛ فوجَّهَ إليَّ الكيس بخاتمي.

قال الواقدي: فتواسينا ألف الدرهم فيما بيننا أثلاثاً. ثم سمع بالخبر (المأمون) فدعاني، فشرحتُ له الخبر؛ فأمَرَ لنا بسبعة آلاف دينار، لكل واحدٍ ألفا دينار، وللمرأة ألف دينار.

قضاء حاجة المسلم

١ - قضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه؛ فجاءه بهدية، فقال ابن شبرمة: ما هذا؟

قال أخوه: لما أسديتَه إليَّ.

قال ابن شبرمة: خذ مالك، عافاك الله! إذا سألتَ أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها؛ فتوضأ للصلاة، وكبِّر عليه أربع تكبيرات، وعدَّه في الموتى.

٢ - وقال علي بن أبي طالب ﷺ: ما أدري أيُّ النعمتين أعظمُ عليَّ منَّة من ربي: من رجل بَذَلَ مُصاصَ وجهه إليَّ فرآني موضعاً لحاجته، وأجرى الله قضاءها أو يسَّرَهُ على يدي، ولأن أقضي لامرئ مسلم حاجةً أَحب إليَّ ملء الأرض ذهباً وفضة.

شاب يعيش هموم أمته

قحطت البادية أيام (هشام بن عبد الملك)؛ فقدمت القبائل إلى هشام ودخلوا عليه، وفيهم (درواس بن حبيب) وعمره أربع عشرة سنة. فأحجم القوم، وهابوا هشاماً! ووقعت عين هشام على (درواس) فأستصغره، فقال لحاجبه: ما يشاء أحد أن يصل إليَّ إلاَّ وصل؟! حتى الصبيان؟!

فعلم درواس أنه يريده فقال:

(يا أمير المؤمنين، إنَّ دخولي لم يخلّ بك شيئاً، ولقد شرفني. وإنَّ هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه، وإن الكلام نشر، والسكوت طي، ولا يُعرفُ الكلام إلاَّ

بنشره.

فقال هشام: فانشر لي لا أبا لك!! وأعجبه كلامه وشجاعته.

فقال: يا أمير المؤمنين، أصابتنا ثلاث سنين: فسنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة نقت العظم، وفي أيديكم فضول أموال: إن كانت لله ففرقوها على عباد الله المستحقين لها، وإن كانت لعباد الله فلمَ تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم؛ فإن الله يجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين. وأعلم يا أمير المؤمنين، أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد: لا حياة للجسد إلاَّ به.

فقال هشام: ما تَرَكَ الغلام في واحد من ثلاث عذراً. وأمَرَ أن بقسم في باديته مائة ألف درهم، وأمَرَ لدرواس بمائة ألف درهم.

فقال: يا أمير المؤمنين، أرددها إلى عطية أهل باديتي؛ فأني أكره أن يعجز ما أمر لهم به يا أمير المؤمنين عن كفايتهم.

فقال هشام: فما لك من حاجة تذكرها لنفسك؟

قال: ما لي من حاجة دون عامة المسلمين).

التلطف في تقديم النصيحة

مرَّ شابان فرأيا شيخاً كبيراً يتوضأ ولا يحسن الوضوء: فعزما على تعليمه. فلما انتهى من وضوئه تقدَّما عليه فقال أحدهما: يا عماه، إن أخي يتهمني بأني لا أُحسن الوضوء، ويزعم أنه يتوضأ أحسن مني، وقد رأيناك تتوضأ فرضيناك حَكَماً، فهل تقضي بيننا؟

فأجاب الشيخ: لا بأس يا بني!

فتقدّم الصغير وتوضأ وضوءاً حسناً. وبعده تقدم الأكبر فأحسن واسبغ..

عندئذ تنبه الشيخ لخطئه وقال: كلاكما أحسن واسبغ، وأنا الذي بحاجة لأن أتقن الوضوء، وشكر لهما وانصرف الشابان.

إنه أسلوب حكيم في تقديم النصيحة. ولو أن من يتصدى لنصح الناس ودعوتهم إلى الإسلام يلتزم هذا النهج في دعوته، ويتخذ الرفق منهجاً له في حياته.. إذن لنجح كثير من الدعاة في دعوتهم؛ إذ ان أسلوب الغلظة في تقديم النصيحة يجعل حجاباً بينك وبين مَن تدعوه؛ فلا يسمع منك قولاً – ولو كان حقاً وصدقاً لا مرية فيه –! لذلك مدح الله رسوله الأمين بقوله:

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ سورة آل عمران/ ١٥٩.

وخاطب سبحانه رسوله الكريم بقوله:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ سورة النحل/ ١٢٥.

وقال ﷺ معلماً أصحابه:

(إن الرفق لا يكون في شئ إلاَّ زانه، ولا يُنزَعُ من شئ إلا شانه) رواه مسلم في كتاب البر (باب:فضل الرفق).

كذب لينقذ مظلوماً

روى ابن خلكان أنَّ الاخشيد كان يحسد أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي، فاحتال عليه حتى اشهد عليه في جناية قتل، فجلس له وأحضره وأحضرَ السياف لينفذ فيه القتل، فبلغ أحمد أبن أبي دؤاد الخبر؛ فركب في وفد مع مَن حضر من عدوله؛ فدخل على الإخشيد وقد جئ بأبي دلف ليقتل؛ فوقف أحمد وقال:

إني رسول أمير المؤمنين إليك، وقد أمرك ألاَّ تحدثَ في القاسم بن عيسى حدثاً حتى تسلمه إليه. ثم التفت إلى الشهود العدول وقال: اشهدوا أني أديت الرسالة إليه عن أمير المؤمنين والقاسم حي معافى؛ فقالوا: شهدنا. وخرج فلم يستطع الأخشيد إنفاذ القتل.

وسار أحمد إلى المعتصم من وقته وقال له: يا أمير المؤمنين قد أديتُ عنك رسالةً لم تقلها لي، ما اعتدّ بعمل خير منها، وإني لأرجو لك الجنة بها. ثم أخبره الخبر. فصوَّب رأيه، ووجَّه مَن أحضَرَ أبا دلف فأطلقه، وعنَّف الأخشيد فيما عزم عليه.

البر بالآباء

١ – قال المأمون: لم أرَ أحداً ابرَّ من الفضل بن يحيى بأبيه: بلغ من بره به أنَّ يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخَّن، وهما في السجن، فمنعهما السجان من إدخال الحطب في ليلة باردة؛ فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم كان يسخن فيه الماء، فملأه، ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائماً وهو في يده حتى أصبح.

٢ – قيل لعمر بن ذر: كيف بر ابنك بك؟

قال: ما مشيتُ نهاراً قط إلا مشى خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رَقِيَ سطحاً وأنا تحته.

العفو عند المقدرة

قدم ثلاثة من الشباب ممسكين برجل أمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وقالوا: هذا الرجل قَتَلَ والدَنا. واعترفَ الرجل، ولكنه طلب إمهاله ثلاثة أيام حتى يُخبَر أبناءه بثروة مدفونة لا يعلمها سواه. وضمنه الصحابي الجليل (أبو ذر الغفاري) رضي الله عنه. وقاربت الثلاثة الأيام على الانتهاء، وكاد أبو ذر يقتل بضمانه. وفي آخر لحظة قَدِمَ الرجل وعليه غبار الطريق وإجهاد السفر!

فقال له عمر: لمَ حضرتَ وقد كان بإمكانك أن تهرب؟

فقال: خوفاً من أن يقال ذهَبَ أهل الوفاء بالوعد.

فقال عمر لأبي ذر: وأنتَ لماذا ضمنته ولم تعرفه؟

فقال: خوفاً من أن يقال ذَهَبَ أهل المروءة الكرام!

فقال أبناء القتيل: ونحن عفونا وتسامحنا حتى لا يقال: ذهب أهل العفو عند المقدرة.

حين ينتصر الإيمان على الأنانية

قصَّ النبي ﷺ على أصحابه قصة رجلين مؤمنين ضربهما مثلاً لما يجب أن يكون عليه المؤمنون من العفاف والزهد والإيثار فقال ﷺ:

(اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجَدَ الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرّة فيها ذهب؛ فقال للذي اشترى العقار منه:

خُذ ذهبك عني؛ إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب.

فقال الآخر: إنما بعتك الأرض وما فيها. قال ﷺ: فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه:

ألكما ولد؟

فقال أحدهما: لي غلام.

وقال الآخر: لي جارية.

فقال الحكم: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسكم منه وتصدّقاً)[1].

جعفر الصادق والغلام

حكي عن جعفر الصادق ﷺ: أن غلاماً له وقف يصب الماء على يديه، فوقع الإبريق من يد الغلام في الطست؛ فطار الرشاش في وجهه؛ فنظر جعفر إليه نظر مغضبٍ فقال الغلام:

يا مولاي، والكاظمين الغيظ.

قال: قد كَظمتُ غيظي.

قال: والعافين عن الناس.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه.

قال: قد عفوت عنك.

قال: والله يحب المحسنين.

قال: اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى.

إياك وكثرة الجدل

أخي المسلم: لا تكثر الجدل في أيِّ شأن من الشؤون؛ فإن المراء لا يأتي بخير.

إن عدم الجدل يعتبر خُلُقاً من أعلى الأخلاق. ونادراً ما يوجد ذلك الإنسان الذي يتخلق به. فَمَن يستطيع الصمتَ وعنده كلام؟

ومن يستطيع السكوت أثناء المناقشة وعنده حجة؟

إنَّ هذا لا يستطيعه إنسان إلاَّ مَن كان في الذروة من مكارم الأخلاق والتمكن فيها.

وليس كلامنا في جدل نقيم فيه الحجة على كافر؛ فإن الله تعالى يقول:

﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

ولا في جدل نقيم فيه الحجةَ على ضال مضل، ولكن كلامنا في جدل لا يترتب عليه عمل، أو في جدل بعد أن قامت الحجة، أو في جدل بعد أن توضحت الأمور، أو في جدل وقد قال كل واحد ما عنده، أو في جدل بلا علم، أو في جدل تستطيع بالرجوع إلى أقرب مرجع أن تعرف الحق، أو في قضاياً لم يأذن بها الشرع.

إن انتشار الجدل في جماعة أو أمة، دليل على أنَّ الخراب حدث فيها، وقد قال ﷺ:

(ما ضَلَّ قومٌ بعد هدىً كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل).

وأفظع الجدل ما كان في القرآن بلا علم. وعلامةُ الإخلاص الكامل في المناقشة: ألاَّ تبالي خَرَجَ الحقُّ على لسانك، أو على لسان من تناقش؛ لأنَّ الغرض هو

الوصول إلى الحق، وحُبُّكَ للحق يجعلك تتمنى صدوره عن أيّ إنسان كان. قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(ما حاججتُ أحَداً إلاّ تمنيتُ أن يكونَ الحقُّ على لسانه).

ومن أفظع الجدل، أن يحاول الإنسان أن يتكلم لإظهار فهمه وعلمه. روي عن رسول الله ﷺ قوله:

(مَن طَلَبَ العلم ليجاري به العلماء، ويماري به السفهاء، ويصرفَ به وجوه الناس إليه أدخله اللهُ النار).

فلا تعجب – أخي المسلم – إذا علمتَ أنَّ رسول الله ﷺ قال:

(مَن تَرَكَ المراء وهو مبطل بُني له بيتٌ في رَبَض الجنة، ومَن تركهُ وهو محق بُنيَ له بيت في وسطها، ومَن تركه لحسن خُلُقِهِ بُني له في أعلاها).

أعور وأعرج

روي أنَّ عابدين من عباد البصرة: أحدهما اعور والآخر أعرج تقابلا، فقال الأعرج للأعور:

هل لك في أن نكسب أجراً؟

فأجابه صاحبه: وما ذلك؟

قال: نتماشى معاً، فيرانا الناس فيقولون: أعرج وأعور؛ فنؤجر ويأثمون!

فردَّ عليه صاحبه: وهل لك في خير من ذلك؟

قال: ماذا؟

قال: لا تفعل.. فنسلم ويسلمون!!

مكارم الأخلاق

كان معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما- يحب مكارم الأخلاق ويثني على أصحابها وقد سأَلَ يوماً جريرَ بن أوسٍ:

من سيدكم اليوم؟

فقال جرير: مَن أعطى سائلنا، وأغضى عن جاهلنا، وغفر زلتنا.

فقال له معاوية: أحسنتَ يا جرير!

من روائع التسامح

قدمت امرأة نصرانية من أهل مصر شكوى إلى عمر بن الخطاب ﷺ مدعية أن عمرو بن العاص أدخَلَ دارها في المسجد كَرهاً عنها.

وعلى الرغم من بيان عمرو أنه فعل ذلك للصالح العام بسبب ضيق المسجد بالمصلين، وأنهَّ عوضَ المرأة قيمته وزادها لكنها لم ترضَ ... على الرغم من ذلك، فقد أمر عمر بن الخطاب بإعادة الدار للمرأة كما كانت.

أحب الإخوان

قيل لخالد بن صفوان: أي إخوانك احبُّ إليك؟

قال: مَن غَفَرَ زلَلي، وقطع عللي، وبلَّغني أملي.

العيب في النفوس

قال حمدون القصار: إذا زلَّ أخ من إخوانكم فاطلبوا له

سبعين عذراً، فإن لم تقبله قلوبكم، فاعلموا أن العيوب في أنفسكم حين ظهر لمسلم سبعون عذراً فلم نقبله.

الإسلام دين الحياة

انتشار الإسلام في العالم كله

من المبشرات بانتصار الإسلام في العالم كله: ما رواه تميم الداري قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (ليبلغنَّ هذا الأمر -يعني أمر الإسلام- ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَر إلا ادخله الله هذا الدين بِعزِّ عزيز، أو بِذُلَ ذليل، عزَّاً يُعزُّ الله به الإسلام، وذلاً يُذلُ الله به الكفر) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٠٣. وقال الهيثمي رجال أحمد رجال الصحيح.

ومعنى بلوغه ما بلغ الليل والنهار: انتشاره في الأرض كلها حيث يبلغ الليل والنهار، ودخول الإسلام الحواضر والبوادي. فالحواضر هي التي بيوتها من مَدَر -أي من حجر-، والبوادي هي التي بيوتها من وَبَر وشعر، وسيدخل الإسلام جميعها. وبهذا يتحقق وعد الله تعالى في كتابه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ وذلك في ثلاث آيات: في التوبة/ ٣٣، وفي الفتح/ ٢٨، وفي الصف/ ٩.

ومعنى ظهوره على الدين كله: غلبتهُ على جميع الأديان. وفي القرون الإسلامية الأولى تغلب الإسلام على اليهودية والنصرانية والوثنية العربية، والمجوسية، والفارسية، وبعض أديان آسيا وأفريقية، ولكنه لم ينتصر على الأديان كلها، فلا زلنا ننتظر تلك البشارة، ولن يخلف الله وعده.

الرسول الكريم وعديٌّ بن حاتم

أخرج الإمام البخاري عن عدي بن حاتم قال بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال النبي ﷺ: يا عدي هل رأيتَ الحيرة؟ قلتُ: لم أرها وقد أُنبئتُ عنها. قال: فإن طالت بكَ حياة لترينَّ الظعينة -أي الجمال عليها الهودج- ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلا الله. قال عدي: قلتُ فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعّار طي -أي

قُطّاع الطرق- الذين سعروا البلاد؟!

ثم قال الرسول الكريم: (ولئن طالت بك حياة لتُفتَحنَّ كنوزُ كسرى. قلتُ: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة لتَرَينَّ الرجل يُخرج ملء كفِّه من ذهب أو فضة يطلب مَن يقبلهُ منه فلا يجد أحداً يقبلهُ منه).

قال عدي: (فرأيتُ الظعينة ترتحلُ من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنتُ فيمن افتتحَ كنوز كسرى أبن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترونَّ ما قال النبيُّ أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه).

قال البيهقي: (قد وقعت الثالثة في زمن عمر بن عبد العزيز) رضي الله عنه!

ثم أخرج عن عمر بن أُسيد عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال:

(إنما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفاً، والله ما مات عمر بن عبدالعزيز، حتى جعلَ الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجعَ بماله، فيتذكر مَن يضعه فيهم فلا يجد، فيرجع بماله، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس).

وحدة الأمة المسلمة

في الفقه الإسلامي نجد وحدة الأمة المسلمة ووحدة الوطن الإسلامي فيما ينقله العلامة (ابن عابدين) عن أئمة الفقه الحنفي حيث يقررون أنَّ الجهاد فرضُ عين إن هَجَمَ العدوُّ على بلد مسلم، وذلك على مَن يقرب من العدوِّ أوَّلاً، فإن عَجَزوا أو تكاسلوا، فعلى مَن يليهم، حتى يفترض -على هذا التدريج- على كل مسلم شرقاً وغرباً[1]. وهذا متفق عليه بين الأئمة جميعاً.

والعجيب أن يقرر فقهاء الإسلام وجوب الدفاع عن البلد المسلم المعتدى عليه -وإن تكاسَلَ أهلُهُ أنفسهم في الدفاع عنه، لأنَّ هذا البلد ليس ملك أهله وحدهم،

(١) حاشية ابن عابدين ٣/ ٣٠٦ طبعة استانبول.

ولكنه - باعتباره جزءاً من دار الإسلام- ملك المسلمين جميعاً، وسقوطه في يد الكفار خسارة وهزيمة للمسلمين قاطبة.

وصورةٌ أخرى يذكرها (ابن عابدين): مسلمةٌ سُبيت بالمشرق، وجب على أهل المغرب تخليصها من الأسر[1].

وقال الإمام مالك: يجب على المسلمين فداء أسراهم، وإن استغرقَ ذلك أموالهم.

الشعور بالمسؤولية .. أمام الله تعالى

عُرضت على الوزير أبي شجاع محمد بن الحسن ظهير الدين الرُوذراوري رقعة فيها:

إن الدار الفلانية بدرب القيَّار فيها امرأة معها أربعة أيتام، وهم عراة جياع.

فاستدعى صاحباً له، وقال له:

مُرَّ، واكسهم، وأشبعهم. وخلع الوزير أثوابه وحلف:

لا لبستها، ولا دفئت حتى تعود إليَّ وتخبرني أنك كسوتهم وأشبعتهم.

ولم يزل يرعد إلى أن جاء صاحبه، وأخبره بذلك.

لذة الصالحين في قيام الليل

كان السلف الصالح يحرصون على قيام الليل وإحياء ساعاته بالصلاة والاستغفار، ذلك إن لقيام الليل لذةً لا يحس بها إلا مَن جرَّبها، قال أبو سليمان الداراني:

(أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببتُ البقاءَ في الدنيا).

وقال: (لذة المناجاة ليست من الدنيا، إنما هي من الجنة، أظهرها الله تعالى

---

(١) حاشية ابن عابدين ٣/ ٣٠٦.

لأوليائه لا يجدها سواهم).

وقال ابن المنكدر: (ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الأخوان في الله، والصلاة في الجماعة).

هكذا كلن سلفنا الصالح ﷺ حريصين على قيام الليل. فاقتدِ -أخي المسلم- بهم قبل أن تتمنى ذلك فلا تطيقه، فإن الرسول الكريم ﷺ قال: (اغتنم خمساً قبل خمس..) وذكر منها: (شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك).

فتنة الشهرة

المسلم الحق يخشى على نفسه من الشهرة، لئلا يدخله العجب والغرور. وكيف لا يخشى من ذلك، وهو يوقن أنه لو لم يخلص النية لم ينفعه ثناءُ الناس عليه وحمدهم له ولو طبقت شهرتهُ الآفاق. لذلك كان علماءُ السلف يخشون على قلوبهم من فتنة الشهرة، ويحذرون تلاميذهم من ذلك. يقول إبراهيم بن أدهم:

(ما صدق الله من أحبَّ الشهرة)[1].

وقال سليم بن حنظلة:

(بينا نحن حول أُبيّ بن كعب نمشي خلفه، إذ رآه عمر فعلاه بالدِّرة؛ فقال: انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع؟ فقال: إنَّ هذه ذلَّةٌ للتابع وفتنة للمتبوع)[2].

وقال أيوب السختياني:

(والله ما صدق عبد إلاَّ سَّره أن لا يُشعرَ بمكانه)[3].

وكان أيوب السختياني قد خرج في سفر فشيَّعه ناس كثيرون، فقال:

(لولا أني اعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لخشيتُ المقت من الله ﷻ)[4].

---

(١) إتحاف السادة المتقين تأليف مرتضى الزبيدي ١٠/ ١٠.

(٢) إتحاف السادة المتقين ١٠/ ١٠.

(٣) إتحاف السادة المتقين ١٠/ ١٠.

(٤) إتحاف السادة المتقين ١٠/ ١١.

وقال بشر:

(ما أعرف رجلاً أحبُ أن يعرف إلاَّ ذهبَ دينه وافتضح)[1].

وقال الفضيل بن عياض:

(إن قدرتَ على أن لا تعرف فأفعل. وما عليك أن لا تعرف، وما عليك أن لا يثنى عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله تعالى؟)[2].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه:

(كونوا ينابيع العلمِ، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سُرُجَ الليل، جدد القلوب، خلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء، وتخفون في أهل الأرض)[3].

إياك والمعصية

قال سهل بن عبد الله التستري:

كنت أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي -محمد بن سوار- فقال لي يوماً:

ألا تذكر الذي خلقك؟

فقلت: كيف اذكره؟

قال: قُل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تُحركَ به لسانك: الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي.

فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال: قُل في كل ليلة سبع مرات؛ فقلت ذلك ثم أعلمته؛ فقال: قُل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة؛ فقلت؛ فوقع في قلبي حلاوته! فلما كان بعد سنةٍ قال لي خالي:

---

(١) إتحاف السادة المتقين ١٠/ ١٢.

(٢) إتحاف السادة المتقين ١٠/ ١٩.

(٣) إتحاف السادة المتقين ١٠/ ١٦-١٧.

إحفظ ما علمتك، وأدم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت في ذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوماً:

يا سهل! من كان الله معه، وناظرٌ إليه وشاهده أيعصيه؟! إياك والمعصية!

وبهذا التوجيه السديد والترويض المستمر، والتربية الإيمانية أصبح (سهل) رحمه الله من الناس المعروفين بصلاحهم، بفضل خاله الذي أدبه وعلمه ورباه، وغرس في نفسه وهو صغير أكرم معاني الإيمان والمراقبة، وأنبل مكارم الأخلاق!! ويقول الرسول الكريم ﷺ:

(ما نحل والدٌ ولداً من نحلٍ أفضل من أدب حسن) رواه الترمذي. ومعنى نحل: أعطى.

ويقول: (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم). رواه أبن ماجه.

ويقول: (من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه) رواه البيهقي.

محاسبة النفس

سئل بعضهم عن قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾، فقال: معناه لمن راقبَ ربه عز وجل، وحاسب نفسه وتزود لمعاده.

وقال محمد بن علي الترمذي: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعلْ خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه.

وسئل ذو النون: بمَ ينال العبد الجنة؟ فقال: بخمس: استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة لله في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب.

وقال مالك بن دينار: رحمَ اللهُ آمرءاً قال لنفسه: ألستِ صاحبة كذا؟ ألستِ صاحبة كذا؟ ثمَّ زمها، ثم خطمها، ثم الزمها كتاب الله؛ فكان له قائداً.

وقال إبراهيم التيمي: مثلت نفسي في الجنة: آكل من ثمارها، واشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها.. ثم مثلت نفسي في النار: آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها.. ثم قلت لنفسي: يا نفس، أيّ شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أرَدّ إلى الدنيا فأعمل صالحاً. قال: فأنت في الأمنية فاعملي!!

وكان الأحنف بن قيس يجيء إلى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه: يا حنيف، ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟

وهذا (توبة الصمة) حاسب نفسه يوماً فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها فإذا هي واحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم؛ فصرخ وقال: يا ويلتى! القى الله بواحد وعشرين ألف ذنب! فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؟!!!

وصيّة السلطان محمد الفاتح لولده

حقَّقَ الله على يدي السلطان محمد الفاتح بشارة رسول الله ﷺ بفتح القسطنطينية (استانبول) وقد سمّاها بعد أن فتحها (إسلام بول) أي مدينة الإسلام. وقد أوصى ولده بايزيد فقال له:

(يا بني: إن نشر الإسلام في الأرض هو واجب الملوك على الأرض، فاعمل على نشر دين الله حيثما استطعت).

(يا بني: إجعل كلمةَ الدين فوق كل كلام، وإياك ان تغفل عن أي أمر من أُمور الدين، وأبعد عنك الذين لا يهتمون بأمر الدين، وإياك أن تجري وراءَ البدع المنكرة).

(يا بني: قرِّب منك العلماء، وارفع من شأنهم؛ فإنهم ذخيرةُ الأمة في الملمات).

(يا بني: حذارِ أن تغرَّك كثرةُ الأموال والجنود، وإياك أن تخالف أمرَ الشريعة في أيِّ شأن، واحرص على الدين؛ فإنَّه سرُّ انتصارنا)!

هذه صفحة مضيئة من صفحات تاريخنا ترينا كم شوّه أعداء الإسلام من تاريخنا وطمسوه وأهالوا التراب على الجوانب المشرقة منه، وجعلونا نحكم على أوائل تلك الدولة المسلمة بما فعله جماعة (الاتحاد والترقي) التي كان يسيرها اليهود والماسونيون والصليبيون. إنهم ما تركوا ميداناً من الميادين لحربنا إلا دخلوه. وما نراه من فرقة وتشتت واقتتال بين المسلمين إلا نتيجة لحربهم إيانا، وجعل ولاء شعوبنا للدعوات الجاهلية.

بين والد وولده (التدرج في إصلاح الفساد)

جاء عبد الملك بن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز إلى والده بعد أن تسلم الخلافة قائلاً له:

(ما يمنعك أن تمضي لما تريده من العدل؟ فوالله ما كنتُ أُبالي لو غلت بي وبك القدور في ذلك).

يريد عبد الملك من والده أن يرد المظالم، ويقضي على الفساد وآثاره دفعة واحدة، وليكن بعد ذلك ما يكون. فيرد عليه الوالد الفقيه قائلاً.

(يا بني إنما أُروِّضُ الناس رياضة الصعب. إني أريد أن أُحيي الأمر من العدل، فأؤخر ذلك، حتى أخرج منه طمعاً من طمع الدنيا، فينفروا من هذه ويسكنوا لهذه. يا بُني لا تعجل؛ فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرّمها في الثالثة، أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فَيَدَعوه جملة؛ فيكون من ذا فتنة).

وهكذا الخليفة الراشد يعالج انحرافات دولته بالتدرج: فهو يريد أن يسقيهم طريق الرشد جرعة جرعة، ويسير بهم في الطريق الصحيح خطوة خطوة.

ويدخل هذا الابن الذي يتوقد حماسة وغيرة على الإسلام -يدخل على والده

غاضباً - فيقول:

(يا أمير المؤمنين، ما أنت قائل لربك غداً إذا سالك فقال: رأيتَ بدعةً فلم تمتها، أو سنةً فلم تحيها)؟

فقال أبوه:

(رحمك الله وجزاك من ولد خيراً! يا بني، إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدةً عقدة، وعروة عروة، ومتى أردت مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا عليَّ فتقاً تكثر فيه من الدماء! والله لزوال الدنيا أهون عليَّ من أن يراق في سببي محجمة من دم! أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة، ويحيي فيه سنة).

إن هذه هي الطريقة المثلى التي ينبغي على المسلم أن يتبعها في الدعوة إلى الله.

الإسلام وتحرير العبيد

عن أبي نجيح السلميّ قال: حاصرتُ مع رسول الله ﷺ الطائف، فسمعته يقول:

(أيما رجلٍ مسلمٍ أعتقَ رجلاً مسلماً؛ فإن الله ﷻ جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظماً من عظام محرره، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأةً مسلمة؛ فإن الله ﷻ جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظماً من عظام محررتها من النار) رواه أبو داوود.

التخفيف عن العبيد

يروى أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يذهب إلى الوالي في كل يوم سبت، فإذا وجَدَ عبداً في عمل لا يطيقه وضع عنه منه، وقد مرَّ يوماً بمكة، فرأى العبيد وقوفاً لا يأكلون مع سادتهم؛ فغضب وقال لمواليهم: ما لقومٍ يستأثرون على خدّامهم؟! ثم دعا الخدم فأكلوا معهم.

الرفق بالعبيد

عن أبي قلابة: أن رجلاً دخل على سلمان ﷺ فوجده يعجن؛ فقال له:

يا أبا عبد الله، ما هذا؟

فقال: بعثنا الخادم في شغل، فكرهنا أن نجمع عليه عملين.

عثمان بن عفان ينصف عبده من نفسه

أخرج السمان في الموافقة عن أبي الفرات قال:

كان لعثمان بن عفان ﷺ عبد، فقال له: إني كنتُ عركتُ أذنك فاقتصَّ مني. فأخذ أذنه، ثم قال عثمان ﷺ: أُشدد، يا حبذا قصاص في الدنيا، لا قصاص في الآخرة.

ابن السماك وهرون الرشيد

دخل ابن السماك على هرون الرشيد فقال له: تكلم أيها الشيخ.

قال: بلغني -يا أمير المؤمنين - أن الله تعالى يقول لعيسى بن مريم يومَ القيامة : ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فترتعدُ فرائصُه؛ حتى تزولَ عنه مفاصله، والله ﷻ يعلم أن عيسى عليه السلام لم يقل هذا، وعيسى يعلم -أيضاً- أنه لم يقل هذا، فكيف أنت تُسأل يوم القيامة عن ألف ألف أمر أنت علمته والله يعلمه؟!!

قال: فخرَّ الرشيد مغشياً عليه؛ فصرخت جاريةٌ في الحجرة: أَخرجوا هذا الرجل من عند أمير المؤمنين؛ فقد قضى نحبه من كلامه، ثم أفاق الرشيد فقال: زدني يا شيخ.

قال: وخسر وخاب مَن لم يكن له في جنة عرضها السموات والأرض مكان يسكنه.

ومن مواعظه لهرون الرشيد:

يا أمير المؤمنين، إنَّ الدنيا -كلها- أرباح؛ فاجعل نفسك رأس مالك، فإنك لن تكسب لها مثلها.

وأنت تحب أن تدعى حكيماً وأنت لكل ما تهوى ركوب

وتضحك دائباً ظهراً لبطن وتذكر ما أبيت ولا تتوب

يا أمير المؤمنين: إن تواضعك في شرفك أشرفُ مِن شرفك.

شريعة الله ونظام الغرب

أباح الإسلام أن يتزوج المسلم أربعاً من النساء بشرط أن يحقق العدالة في المأكل والملبس والنوم والحقوق الزوجية كلها بين نسائه... وتوعَّدَ الرسول الكريم ﷺ من يقصِّرُ في هذا الجانب فقال:

(مَن كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل)[1].

وليس المراد بالميل هنا الميل القلبي، بل الميل في الحقوق الزوجية التي يملكها الإنسان، وقد قمتُ بطباعة كتاب عنوانه (الإسلام وتعدّد الزوجات) توسعت فيه في إيضاح هذه القضية المهمة. ولكن إذا أردنا أن نقارن بين تعدد الزوجات في الإسلام وتعدد الخليلات في دول الغرب نرى العجب العجاب:

(إنَّ هذا التعدد عند الغربيين واقع من غير قانون، واقع تحت سمع القانون وبصره! إنه لا يقع باسم الزوجات، ولكنه يقع باسم الصديقات والخليلات.

إنه ليس مقتصراً على أربع، بل هو إلى مالا نهاية له من العدد!

إنه لا يقع عَلَناً تفرح به الأسرة، ولكن سراً لا يعرف به أحد.

إنه لا يلزم صاحبه بأية مسؤولية مالية نحو النساء اللآتي يتصل بهنَّ، بل حسبه أن يلوِّثَ شرفهن، ثم يتركهنَّ للخزي والعار والفاقة، وتحمل آلام الحمل والولادة

(١) رواه أحمد والأربعة وسنده صحيح.

غير المشروعة!

إنه لا يلزم صاحبه بالاعتراف بما نتج عن هذا الاتصال من أولاد، بل يُعتبرون غير شرعيين، يحملون على جباههم خزي السفاح ما عاشوا، لا يملكون أن يرفعوا بذلك رأساً!

إنه تعدد غير قانوني من غير أن يسمى تعدد الزوجات، خالٍ من كل تصرف أخلاقي، أو يقظة وجدانية، أو شعور إنساني!

إنه تعدد تبعث عليه الشهوة والأنانية ويفرّ من تحمل كل مسؤولية!

فأيُّ النظامين ألصق بالأخلاق، وأكبح للشهوة، وأكرم للمرأة، وأدل على الرقي وأبرّ بالإنسانية: نظامنا أم نظام الغربيين؟!!)

مناظرة

هذه مناظرة جرت بين العالم المجاهد الدكتور مصطفى السباعي -رحمه الله- وبين مدير مدرسة الآباء اليسوعيين في مدينة (دبلن)عاصمة (أيرلندا):

قال الدكتور السباعي: قلتُ للمدير:

لماذا تحملون على الإسلام ونبيِّه - وبخاصة في كتبكم المدرسية- بما لا يصح أن يقال في مثل هذا العصر الذي تعارفت فيه الشعوب والتقت الثقافات؟

فأجابني: نحن -الغربيين- لا نستطيع أن نحترم رجلاً تزوَّج تسع نساء!

السباعي: هل تحترمون نبيَّ الله داوود ونبيه سليمان؟

المدير: نعم! وهما عندنا من أنبياء التوراة.

السباعي: إنَّ نبي الله داوود عليه السلام كان له تسع وتسعون زوجة أكملَهُنَّ بالزواج من زوجة قائده (أوريا) - كما تذكر التوراة -ونبيَّ الله سليمان كانت له -كما جاء في التوراة- سبعمائة زوجة من الحرائر، وثلاثمائة من الجواري، وكُنَّ أجملَ أهل زمانهن؛ فلمَ يستحقُّ احترامكم مَن يتزوَّج ألف امرأة ولا يستحق احترامكم من

يتزوَّج تسعاً؟

لماذا لا يستحق احترامكم من تزوَّج تسعاً: ثمان منهن ثيِّبات وأُمهات وبعضهنَّ عجائز، والتاسعةّ هي الفتاة البكر الوحيدة التي تزوَّجها طيلة عمره؟!

المدير: لقد أخطأت التعبير! أقصد أننا نحن الغربيين - لا نستسيغ الزواج بأكثر من امرأة، ويبدو لنا أنَّ مَن يُعدِّد الزوجات غريب الأطوار، أو عارم الشهوة!

السباعي: فما تقولون في داوود وسليمان وبقية أنبياء إسرائيل الذين كانوا جميعاً معدِّدين للزوجات بدءاً من إبراهيم عليه السلام؟

فسكت المدير لم يحر جواباً، وصدق الله العظيم:

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ الأنبياء.

قرآن وسنّة

قال أبو يزيد: لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يتربع في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود.

وقال سريّ السقطي: من ادعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم فهو غالط.

وقال الجنيد: مذهبنا هذا مقيَّدٌ بالأصول بالكتاب والسنة، فمن لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ويتفقه لا يقتدى به.

وقال أبو بكر الدقاق: مَن ضيَّعَ حدود الأمر والنهي في الظاهر حرم مشاهدة القلب في الباطن.

وقال أبو الحسين النوري: من رأيته يدَّعي مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربه، ومَن رأيته يدّعي حالةً لا يشهد لها حفظ ظاهره فاتهمه على دينه.

وقال الجريري: أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد:

أن تلزِمَ قلبك المراقبة، ويكون العلم على ظاهرك قائماً.

وقال أبو حفص الكبير الشأن: مَن لم يزِنْ أحواله وأفعاله بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعدّوه في ديوان الرجال.

التسرع في الفتوى

قال ابن عباس ﷺ: إن كل مَن أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه لمجنون.

وقال محمد بن عجلان: إذا أغفل العالم: (لا أدري) أُصيبت مقاتله.

وسئل القاسم بن محمد بن أبي بكر عن شيء فقال: لا أُحسنه، فقال السائل: إني جئتُ إليك لا أعرف غيرك. فقال القاسم: تنظر إلى طول لحيتي، وكثرة الناس حولي، والله ما أُحسنه. فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي الزمها، فوالله، ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم.

فقال القاسم: والله لأَن يقطع لساني أُحبُّ إليَّ من أن أتكلم بما لا علم لي.

وقال سفيان بن عيينة وسحنون بن سعيد صاحب المدونة: أَجرأُ الناس على الفتيا أقلهم علماً.

وسأل رجل مالك بن أنس أياماً عن شيء فقال: إني إنما أتكلم فيما أحتسب فيه الخير، ولست أحسن مسألتك هذه.

امرأة مؤمنة مجاهدة

كانت الخنساء بنت عمرو السلمية -وهي كافرة- لا تصبر على بلاء. فلما قُتِلَ أخواها (معاوية) و (صخر) جزعت عليهما أشدَّ الجزع، ورثتهما رثاءاً حاراً بزفرات مؤلمة، حتى قالت في حزنها العميق:

يُذكَّرني طلوعُ الشمس صخراً وأذكُرُهُ لكل غروب شمس

ولولا كثرةُ الباكين حولي على إخوانهم لقتلتُ نفسي

هذه المرأة التي أوشكت على الانتحار من عظم وقع المصاب عليها، أُنظرها وقد أشرقت شمس الإسلام في قلبها كيف تحوَّلت إلى طاقة من الجلد والثبات

والرضى، حتى إن أبناءها الأربعة استشهدوا في موقعة القادسية (وشتان ما بين اخوة وأبناء) فماذا صنعت؟

إنها أولاً قبل المعركة حرّضتهم على القتال، ونهتهم عن الفرار وقالت لهم في توجيهها البالغ:

(يا بنيَّ، تالله إنكم لبنو أب واحد وبنو أُم واحدة. ما خنتُ أباكم، ولا فضحتُ أخوالكم، وقد أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، فإذا أتيتم الحرب فخوضوا غمارها، واندفعوا في أتونها، وكونوا أوّل المبارزين وأمام الثابتين).

لذلك باشر الأولاد القتال كأحسن ما يكون المجاهدون، فقال أولهم يحرِّض إخوانه الثلاثة، ويذكرهم نصيحة أمهم:

يا إخوتي إن العجوز الناصحة قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
بمقالة ذات بيان واضحة وإنما تلقون عند الصابحة
من آل ساسان كلاباً نابحة

فبرز أخوه الثاني رافعاً الروح المعنوية لإخوته وأنشد:

إن العجوز ذات حزم وجَلَد قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحةً منها وبراً بالولد فباكروا الحرب حماة في العدد

فقام ثالثهم يسهم في هذا الجهاد الرفيع وأنشد:

والله لا نعصي العجوز حرفاً نصحاً وبراً صادقاً ولطفاً
فبادروا الحرب الضروس زحفا حتى تلفوا آل كسرى لفَّا[1]

وهنا قفز الرابع وأنشد:

لستُ لخنساءَ ولا للأخْرَمِ ولا لعمرو ذي النضال الأقدم[2]

---

(١) حتى تحيطوا بهم وتفنوهم.

(٢) أي لا يصح أن أُنسب إلى أُمي الخنساء وأبي عمرو أصحاب المجد إن لم أرَ سيفي البتار يعمل في أعناق المشركين.

إن لم أره في الجيش خنس الأعجمي ماضٍ على الهول خضم حضرمي

وهكذا انقلب هؤلاء الأسود الأربعة بإيمانهم فوارس الميدان وقد حرصوا على الشهادة في سبيل الله فجاءتهم كراماً مقبلين غير مدبرين. وجاء أمهم النبأ السار:

(يا خنساء استُشهِدَ بنوك الأربعة). وكانت الدنيا توقن أنها ستموت حتف أنفها عندما تعلم نبأ بنيها، ولكنَّ الإيمان بالله شيء آخر. اسمعوها تنطق في فم الزمان بكلمات الخلود والمجد والبطولة فقد قالت:

(الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم في الإسلام، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته).

ومن هنا لا نعجب إذا رأينا رسول الله ﷺ ينصت لشعرها ويسر ويقول: (هيه يا خناس ويومئ بيده) ويستنشدها ويعجب.

وكانت (الخنساء) تزور عائشة أُمَّ المؤمنين فتكرمها. وجاء عمر أبن الخطاب ﷺ فزاد في إكرامها، وأجرى عليها أرزاق بنيها الأربعة الذين استُشهدوا، حتى قُبِضَ ﷺ. وذلك كله راجع إلى الإيمان الذي جعل من أصحابه رجالاً كالملائكة يمشون على الأرض مطمئنين.

عربية القران تربي المسلم على القوة والشجاعة

ربما يعجب كثير من الناس اليوم حين نقول: ان تعلم الطفل لتلاوة القران الكريم منذ الصغر يغرس في قلبه الإيمان العميق، ويربي فيه القوة والشجاعة ومتانة الخلق، لكنها الحقيقة التي توصل إليها غير المسلمين فضلا عن المسلمين. فهناك دراسات أجراها عدد من مفكري الغرب عن أسباب قوة وصلابة العربي، توصلوا من خلالها الى ان تعليم الطفل العربي لتلاوة القران الكريم كان السر في ذلك فقال الكاتب: E.H.Janser في كتابه (الاسلام المقاتل) ما يأتي:

(ان انكلترا وفرنسا قد أجرتا بحوثا عن أسباب قوة وصلابة الإنسان العربي، وتمكنه من فتح البلاد المحيطة به من الهند الى تخوم الصين... فوجدتا ان السر في ذلك كان طريقة

تعليم الطفل العربي، وكيف أنه بدأ قبل الخامسة بحفظ القران وختمه، وهو الكتاب الجامع لأفصح التراكيب اللغوية، وأجمل الصيغ البلاغية التي تنطبع في الذاكرة فلا تزول...كما يعطيه القران طاقة نضالية، وصلابة خلقية وزخما إيمانيا، وصلة بالغيب، لا تتخلى عنه طوال عمره، فهو يشعر دائما انه ليس وحده، وإنما يوقن ان الله معه...)[1].

(١) مقدمة للأستاذ عمر عبيد حسنه قدم بها كتاب الأستاذ الدكتور طالب عبد الرحمن الموسوم (نحو تقويم جديد للكتابة العربية) وهو من سلسلة كتاب الأمة،العدد٦٩، قطر، ص٣٨.

مع صحابة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

محبة الصحابة

قال الإمام احمد بن حنبل -رحمه الله-:

(ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو أبغضه.. أو ذكر مساوئه كان مبتدعاً حتى يترحم عليهم جميعاً ويكون قلبه لهم سليما).

وقال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً فكان مذهبهم: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وهم الخلفاء الراشدون المهديون، ثم العشرة -بقية العشرة- الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، والترحم على جميع أصحاب محمد، والكف عما شجر بينهم).

من سخاء الصحابة

١- أخرج أبو نعيم في كتابه (حلية الأولياء) عن الحسن قال:

كان عطاء (مرتب) سلمان ﷺ خمسة آلاف درهم، وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها، وإذا خرج أمضاه (أي تَصدَّق به) ويأكل من سفيف يده.

٢- أخرج أبن سعد عن أم درة قالت: أتيت عائشة بمائة ألف ففرقتها وهى يومئذ صائمة فقلت لها:

أما استطعتِ فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه؟! فقالت: لو كنتِ أذكرتني لفعلت!

٣- قالت زوجة طلحة بن عبيد الله ﷺ:

دخلت يوماً على طلحة فرأيت منه ثقلاً فقلت له:

مالك؟ لعله رابك منا شيء فنعتبك (أي نترضاك)!

قال: لا، ولنعم حليلة المرء المسلم أنتِ! ولكن اجتمع عندي مال ولا أدري كيف أصنع به؟

قلت وما يغمّك منه؟! أدع قومك فاقسمه بينهم.

فقال: يا غلام، عليّ بقومي.

فسالت الخازن: كم قسم؟

قال: اربعمائة ألف.

خوف الصحابة من الله

قال ابن قيم الجوزية في كتابه (الداء والدواء) في الصفحة ٤٨ وما بعدها بتصرف قليل:

(من تأمل أحوال الصحابة ﷺ، وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف. ونحن جميعاً بين التقصير، بل التفريط والأمن. (فهذا أبو بكر الصديق ﷺ يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن ... وكان إذا قام للصلاة كأنه عود من خشية الله ﷻ...).

(وهذا عمر بن الخطاب ﷺ قرأ سورة (الطور) حتى إذا بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ بكى واشتدّ بكاؤه حتى مرض وعادوه. وقال لابنه وهو على فراش الموت: ويحك ضع خدي على الأرض، عساه أن يرحمني. ثم قال: بل ويل أمي إن لم يغفر لي ثلاثاً، ثم انتقل إلى رحمة الله! وكان يمر بالآية في ورده بالليل فتخيفه، فيبقى في البيت أياماً يعاد يحسبونه مريضاً. وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء).

(وهذا عثمان بن عفان ﷺ كان إذا وقف على القبر يبكي حتى يبل لحيته. وقال: لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير!).

(وهذا علي بن أبى طالب ﷺ وبكاؤه وخوفه وكان يشتد خوفه من اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى. قال فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى، فيصد عن الحق. ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فان اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل!).

(وهذا أبو الدرداء ﷺ كان يقول: إن أشدَّ ما أخاف على نفسي- يوم القيامة أن يقال لي: يا أبا الدرداء، قد علمت فكيف عملت؟).

وقرأ (تميم الداري) ليلة سورة (الجاثية)، فلما أتى على هذه الآية: ﴿ **أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾، فجعل يرددها ويبكي حتى أصبح.

(وقال ابو عبيدة عامر بن الجراح: وددت أني كبش فذبحني أهلي وأكلوا لحمي وحَسَوا مرقي!).

(وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل).

ويذكر عن الحسن: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق.

وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة ﷺ: (أنشدك الله، هل سمّاني لك رسول الله ﷺ؟ يعني في المنافقين.

فيقول: لا، ولا أزكي بعدك أحداً!!).

من سماحة المسلمين

لقد كان الصحابة -بحق- حريصين كل الحرص على هداية الناس إلى الإسلام، وكان فرحهم بدخول فرد في الإسلام أكثر من فرحهم بحيازة الدنيا بحذافيرها. يدلنا على ذلك :أن (المقوقس) عرض على (عمرو بن العاص) أن

يدفع إليه الجزية عند فتح (الإسكندرية)، مقابل أن يرد إليهم الأسرى. ولما علم بذلك (عمر بن الخطاب) ﷺ كتب إلى (عمرو بن العاص) بقبول الجزية، وأن تخير الأسرى بين الإسلام والنصرانية. وقد وصف موقف التخيير هذا (زياد بن جزء الزبيدي) -وكان شاهداً لذلك التخيير- قال:

(فجمعنا ما في أيدينا من السبايا. واجتمعت النصارى، فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا، ثم نخيره بين الإسلام ودين النصرانية : فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين نفتح القرية. قال: ثم نحوزه إلينا. وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى ثم حازوه إليهم. قال: فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم).

وقد أُتي فيمن أُتينا به بأبي مريم عبد الله بن عبد الرحمن، فوقفناه، فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية- وأبوه وأمه وإخوته في النصارى- فاختار الإسلام، فحزناه إلينا! ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا حتى شققوا عليه ثيابه، ثم هو اليوم عريفنا)[1].

حول مثالب الصحابة المزعومة

المثالب التي تنقل عن الصحابة نوعان:

أحدهما: ما هو كذب: إما كذب كله، وإما محرّف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرجه إلى الذم والطعن. وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب، يرويها الكذابون المعروفون بالكذب، مثل : أبي مخنف لوط بن يحيى، وهشام بن السائب الكلبي، وأمثالهما من الكذابين الذين شهد الأئمة بكذبهم وسقوط أخبارهم.

ثانيهما: ما هو صدق. وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها من أن تكون

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٢٧. والسيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري ٢/ ٦٧٠-٦٧١.

ذنوباً وتجعلها من موارد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب.

وما قدِّر من هذه الأمور ذنباً محققاً، فان ذلك لا يقدح فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة، لان الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة، منها: التوبة، ومنها: الحسنات الماحية للذنوب: فإن الحسنات يذهبن السيئات، ومنها: المصائب المكفرة..

مع أبي بكر الصديق ﷺ

الحياء من الله

قال أبو بكر الصديق ﷺ: (يا معشر المسلمين، استحيوا من الله ﷻ، فوالذي نفسي بيده، إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعاً بثوبي استحياءاً من ربي ﷻ)[1].

لا خير إلا بالطاعة

وقال ﷺ: (إن الله ليس بينه وبين أحدٍ من خلقه نسب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه سوءاً الا بطاعته واتباع أمره، وإنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشرٍ بعده الجنة)[2].

إحذر نفسك

وقال: (إن لكل نفس شهوة، فإذا أعطيتها تمادت في غيرها)[3].

سيرة المؤمن

قال ﷺ: (لا خير في قول لا يراد به وجه الله ﷻ، ولا خير في مال لا ينفق في

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٤.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٣٦.

(٣) أبو بكر تأليف الشيخ علي الطنطاوي عن الخميس للديار البكري ٢٧٨.

سبيل الله ﷻ، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن لا يخاف في الله لومة لائم)[1].

خليفة المسلمين مع واحد من الرعية

روى البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن أبا بكر الصديق ﷺ قام يوم الجمعة فقال: إذا كان بالغداة فاحضروا صدقات الإبل نقسم، ولا يدخلْ علينا أحد إلا بإذن.

فقالت امرأة لزوجها: خذ هذا الخِطام لعلَّ الله يرزقنا جملاً. فأتى الرجل، فوجد أبا بكر وعمر -رضى الله عنهما- قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما. فالتفتَ أبو بكر فقال:

ما أدخلك علينا؟ ثم أخذ منه الخطام فضربه.

فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل وأعطاه الخِطام وقال:

(استقد).

فقال له عمر: والله لا يستقيد، لا تجعلها سنة.

قال أبو بكر: فمن لِي من الله يوم القيامة؟

فقال عمر: أرضِهِ.

فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلة ورحلها وقطيفة وخمسة دنانير، فأرضاه بها.

وصية أبي بكر الصديق

لما حضرت أبا بكر ﷺ الموت دعا عمر بن الخطاب فأوصاه قائلاً:

(إتق الله يا عمر، وأعلم أن لله ﷻ عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحق لميزان

(١) حلية الأولياء ١/ ٣٦.

يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً. وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأخاف أن لا ألحق بهم. وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم وردَّ عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغباً راهباً، لا يتمنى على الله، ولا يقنط من رحمته ﷻ. فان أنت حفظتَ وصيتي، فلا يكن غائب أحب إليك من الموت - وهو آتيك- وإن أنت ضيعت وصيتي، فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت - ولست بمعجزه).

مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
هكذا يصنع الإسلام الرجال

قال حذيفة بن اليمان: دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرأيته مهموماً حزينا، فقلت له: ما يهمك يا أمير المؤمنين؟

فقال: إني أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد منكم، تعظيماً لي!!

فقال حذيفة: والله لو رأيناك خرجتَ عن الحق لنهيناك! ففرح عمر وقال: الحمد لله الذي جعل لي أصحاباً يقوّمونني إذا اعوججت!!

تعاليت ربي! أهكذا يصنَع دينك الرجال ويربي الحكام!!

رضوان الله عليك يا ابن الخطاب! ما أحزنك فوات الدنيا، ولا أهمك وأغمك أنك لم تُشيدْ لك القصور ولم تكدس الثروات، وما آسفك أنك لم تحمل أقاربك على رقاب الناس، ولم تجعلهم يرتعون في أموال الأمة، يأخذون منها بلا حق ولا حساب، بل أحزنك خوفك أن تقع في منكر ولا ينهاك المسلمون تعظيماً لشأنك!!

رضوان الله عليك يا ابن الخطاب! ما استحوذ عليك الغرور، ولا ظننت في نفسك العصمة من الوقوع في المنكر والخطأ، ولم يُزينْ لك الخطأ منافق متزلف، وما أبعد رعية الفاروق عن النفاق والملق والمدح الكاذب!

رضوان الله عليك يا ابن الخطاب! إذ فرحت وحمدت الله أن جعل في أصحابك ورعيتك منْ يقوِّم اعوجاجك إذا اعوججت!

يا أيها المسلمون: تعالوا تتلمذوا على ابن الخطاب،حتى تسعدوا وتخلعوا عنكم ثياب الخوف والجوع!!

هذا هو الإسلام

روى الإمام احمد في مسنده عن مالك بن أوس قال:

(وكان عمر -ابن الخطاب- يحلف على أيمان ثلاثة: والله ما أحد أحق بهذا[1] المال من أحد، وما أنا أحق به من أحد، ووالله ما من المسلمين أحد إلا وله في هذا المال نصيب. ووالله لئن بقيت لهم لأوتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه).

هذا الأثر العمري فيه دليل -كما قال الإمام الشوكاني- على أن الإمام كسائر الناس، لا فضل له على غيره في تقديم ولا توفير نصيب، كما يدلُّ على أن كل إنسان في ظل دولة الإسلام مهما بعد مكانه وصغر شأنه يجب أن يُدرك نصيبه من مال الجماعة حسب حقه وحاجته..

هذا هو الإسلام وهذه حقائقه!

في صحبة الفاروق

لما قدم عمر بن الخطاب ﷺ الشام صنِعَ له طعام من أطيب الأطعمة، فقال:

(هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟).

فقال خالد بن الوليد ﷺ: (لهم الجنة)!

فاغرورقت عينا عمر بالدموع وقال:

(لئن كان حظنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بوناً بعيداً).

وقال سعد بن أبي وقاص ﷺ :

(قد علمت بأي شيء فضلنا عمر، كان أزهدنا في الدنيا).

---

(١) أي مال القيئ والمصالح العامة.

هكذا فاصنعوا لهنّ

أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب ﷺ بزوج لها أشعث أغبر فقالت: يا أمير المؤمنين لا أنا ولا هذا، خلصْني منه. فنظر عمر فعرف ما كرهت منه، فأشار إلى رجل فقال: اذهب به فحممه وقلم أظفاره، وخذ من شعره، وائتني به، فذهب ففعل ذلك ثم أتاه ، فأومأ له عمر أن خذ بيدها -وهي لا تعرفه- فقالت: يا عبد الله، سبحان الله! أبين يدي أمير المؤمنين تفعل هذا؟! فلما عرفته ذهبت معه، فقال عمر هكذا فاصنعوا لهن، فو الله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزينَّ لكم.

هذه دنياكم

قال الحسن: مرَّ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه على مزبلة فاحتبس عندها. فكأن أصحابه تأذوا بها فقال: هذه دنياكم التي تحرصون عليها.

قصة الشجرة

كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ﷺ فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت وقال: أراكم أيها الناس رجعتم إلى (العزَّى)، ألا لا أوتى منذ اليوم بأحد عاد لمثلها إلا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد.

زهد عمر

كان عمر بن الخطاب ﷺ يعيش عيش الزهاد، ويلبس جبة فيها أثنتا عشرة رقعة. وتمنى (المهاجرون) و(الأنصار) لو يغير هذه الجبة بثوب لين يهاب فيه منظره، ويغدى عليه بجفنة من الطعام ويراح عليه بجفنة يأكله ومن حضره من (المهاجرين) و (الأنصار)، فلم يتجرأ أحد على مواجهته بذلك، فسألوا (عائشة) و (حفصة) ﷺ أن تكلماه- وقد كانتا مجتمعتين: فدخلتا على أمير المؤمنين فقربهما

وأدناهما.

فقالت عائشة: يا أمير المؤمنين، أتأذن أكلمك؟

قال: تكلمي يا أم المؤمنين.

قالت: إن رسول الله ﷺ مضى لسبيله إلى جنته ورضوانه، لم يرد الدنيا ولم تُرده، وكذلك مضى أبو بكر رضي الله عنه على أثره لسبيله بعد إحياء سنن رسول الله ﷺ وقتل المكذبين... وقد فتح الله على يديك كنوز كسرى وقيصر وديارهما، وحمل إليك أموالهما، ودانت لك أطراف المشرق والمغرب، ونرجو من الله المزيد، وفي الإسلام التأييد، ورسل العجم يأتونك، ووفود العرب يردون عليك، وعليك هذه الجبة قد رقعتها إثنتي عشرة رقعة، فلو غيرتها بثوب لين يهاب فيه منظرك، ويغدى عليك بجفنة من الطعام ويراح عليك بجفنة تأكل أنت ومن حضرك من (المهاجرين) و (الأنصار).

فبكى عمر عند ذلك بكاءاً شديداً ثم قال :

سألتك بالله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ شبع من خبز بر عشرة أيام أو خمسة أو ثلاثة، وجمع بين عشاء وغداء حتى لحق بالله؟!

فقالت: لا.

فأقبل على عائشة فقال:

هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قُرب إليه طعام على مائدة في ارتفاع شبر من الأرض؟! كان يأمر بالطعام فيوضع على الأرض ويأمر بالمائدة فترفع؟

قالتا : اللهم نعم.

قال: أنتما زوجتا رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين، ولكما على المؤمنين حق وعليَّ خاصة. ولكن أتيتما ترغباني في الدنيا، وإني لأعلم أن رسول الله ﷺ لبس جبة من الصوف فربما حك جلده من خشونتها، أتعلمان ذلك؟

قالتا: اللهم نعم.

فقال: هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان يرقد على عباءة على طاقة واحدة، وكان مسحاً في بيتك يا عائشة تكون بالنهار بساطاً وبالليل فراشاً، فندخل عليه فنرى أثر الحصير على جنبه! ألا يا حفصة أنت حدثتني أنك ثنيت له ذات ليلة فوجد لينها فَرَقَدَ، فلم يستيقظ إلا بأذان (بلال) فقال لكِ يا حفصة: ماذا صنعت؟ أثنيتِ المهاد ليلتي حتى ذهب بي النوم الى الصباح؟ ما لي وللدنيا، وما لي شغلتموني بلين الفراش يا حفصة؟

أما تعلمين أن رسول الله ﷺ كان مغفوراً له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أمسى جائعاً، ورقد ساجداً، ولمَ يَزلْ راكعاً وساجداً وباكياً ومتضرعاً في آناء الليل والنهار إلى أن قبضه الله برحمته ورضوانه! لا أكل عمر طيباً، ولا لبس ليناً، فله أسوة بصاحبيه، ولا جمع بين آدمين إلا الملح والزيت، ولا أكل لحماً إلا في كل شهر .. فخرجتا فخبرتا بذلك أصحاب رسول الله ﷺ، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله ﷻ.

أخرجه ابن عساكر من حديث طويل عن الحسن البصري في عمر بن الخطاب.

رضي الله عنك يا عمر! لقد اقتديت برسول الله ﷺ فأحسنتَ الاقتداء! ولو أنك -حاش لله- قد استعبدتك الدنيا وأسرتك شهواتها، لما صرت فاروق الإسلام المبشَّر بالجنة الذب نصبت للإسلام بضعة عشر ألف منبر!!

عمر بن الخطاب والحلية

ولى عمر بن الخطاب ﷺ قيس بن سلمة حرب الأكراد، فظفر بهم، ولما فرق الغنائم رأى حلية، فاسترضى الجند في إرسالها إلى عمر فرضوا، فبعث بها مع رجل من أصحابه. فقدم الرجل على عمر، فرآه يغدِّي فقراء المسلمين وهو متكيء على عصاه، فتقدم إليه وأجلسه. ولما انتهى الأكل سار عمر إلى داره واتبعه الرجل ودخل معه فأجلسه على وسادة، وجلس هو على أخرى وقال: يا أم كلثوم غداءنا.

فأخرجت إليه خبزةً بزيت، ومعها ملح، ثم أكل هو والرجل، فما كان أحسن

أكلاً منه.

ثم قال الرجل: حاجتي يا أمير المؤمنين، أنا رسول قيس بن سلمة.

فقال: مرحباً.

وسأله عن المهاجرين فقال: هم على ما تحب في كل شيء.

ثم أخبره بأمر الحلية، فوثب عمر، ووضع يده على خاصرته وقال:

لا أشبع الله إذن بطن عمر! ردَّ ما جئت به. أما والله، لئن تفرق المسلمون في شتاتيتهم قبل أن نقسم هذه فيهم لأفعلن بك وبصاحبك الفاقرة!

فخرج الرجل حتى أدرك قيساً وأخبره بما كان، ففرق الحلية على أهلها.

ابن الخطاب في عام الرمادة

كان عمر بن الخطاب ﷺ يصوم الدهر. فلما كان عام الرمادة امتنع عن أكل اللحم فكان إذا أمسى أُتي بخبز فأثرد بالزيت، إلى أن نحروا يوماً من الأيام جزوراً فأطعمها الناس، وغرفوا له طَّيبها، فأتي به، فإذا قدر من سنام ومن كبد، فقال: أنى هذا؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرناها اليوم.

قال: بخٍ بخٍ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها، وأطعمت الناس كراديسها، ارفع هذه الجفنة، هات غير هذا الطعام.

فأتي بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده، ويثرد ذلك الخبز.

ثم قال: ويحك يا يرْفأ -خادم عمر-، احمل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت بثمغ، فاني لم آتهم منذ ثلاثة أيام، وأحسبهم مقفرين، فضعها بين أيديهم.

من ورع ابن الخطاب

قدم على عمر بن الخطاب ﷺ مسك وعنبر من البحرين فقال:

والله لوددت أني وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لي هذا الطيب حتى أقسمه

بين المسلمين.

فقالت امرأته عاتكة: أنا جيدة الوزن، فأنا أزنه لك.

قال: لا.

فقالت: ولمَ؟

قال: لأني أخشى أن تأخذيه هكذا (وأدخل أصابعه في صدغيه)، وتمسحي به عنقك، فأصيب فضلاً من المسلمين.

خذوا كيف شئتم

قدم أبو هريرة على عمر بن الخطاب ﷺ، وقد كان أبو هريرة والياً له على البحرين -قدم ومعه خمسمائة ألف درهم فقال له عمر:

ماذا معك؟

قال: خمسمائة ألف درهم.

فابتسم عمر وقال: هل تدري ما تقول؟

قال: نعم. مائة ألف درهم، ومائة ألف درهم، ومائة ألف درهم، ومائة ألف درهم، ومائة ألف درهم.

فهبَّ عمر وخطب:

أيها الناس! لقد جاءنا مال كثير! فان شئتم كِلْنا لكم كيلاً، وإن شئتم عددنا عداً!

فأشار الصحابة بتدوين الدواوين... فدونت وقت ذاك!

القوي الأمين

بينما كان عثمان بن عفان ﷺ في مال له في العالية في يوم صائفٍ إذ رأى رجلاً يسوق بكرين وعلى الأرض مثل الفراش من الحر! فقال عثمان: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح؟! ثم دنا الرجل فقال لمولاه: أنظر من هذا؟ فقال: أرى

رجلاً معمماً بردائه يسوق بكرين. ثم دنا الرجل فقال أنظر من هذا؟ فنظر فإذا هو عمر بن الخطاب ﷺ.

فقال: هذا أمير المؤمنين! فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب فإذا لفح السموم، فأعاد رأسه حتى إذا حاذاه قال:

ما أخرجك في هذه الساعة؟

فقال بكران من إبل الصدقة تخلفا، وقد مضي بإبل الصدقة فأردت أن ألحقهما بالحمى، وخشيت أن يضيعا فيسألني الله عنهما!

فقال عثمان: هلمَّ إلى الظل والماء ونكفيك.

قال: عدْ إلى ظلك.

قال: عندنا من يكفيك.

قال: عدْ إلى ظلك. ومضى.

فقال عثمان: منْ أحب أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا!!

يحلف على أيمان ثلاث

عن مالك بن أوس قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ يحلف على أيمان ثلاث يقول:

والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد، وما أنا أحق به من أحد، و والله ما من المسلمين أحد إلا وله في هذا المال نصيب! إلاّ عبدا مملوكاً، ولكنا على منازلنا من كتاب الله ﷻ، وقسمنا من رسول الله، فالرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الاسلام، والرجل وغناه في الاسلام، والرجل وحاجته. ووالله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء من هذا المال وهو يرعى مكانه.

قبيل وفاة عمر

قال عمر بن الخطاب ﷺ: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن

إلى رجل بعدي أبداً.

فما أتت عليه إلا أربعة أيام حتى أصيب.

مع حفصة زوج النبي ﷺ

جيء لعمر بن الخطاب ﷺ بمال، فجاءته بنته حفصة زوج رسول الله ﷺ قالت له:

يا أمير المؤمنين، أُوصيك بأقربائك بأن تعطيهم من هذا المال فإن الله تعالى قد أوصى بالأقربين.

فقال لها: يا بنية، حقٌّ أقربائي في مالي، أما هذا فمال المسلمين. غششت أباك ونصحت أقرباءك، قومي.

فقامت تجرُّ ذيلها خجلاً.

يعوض ضربة الدرة بالحج

أخرج الطبري، عن إياس بن سلمة عن أبيه قال:

مرّ عمر بن الخطاب ﷺ في السوق ومعه الدّرة، فخفقني بها خفقة، فأصاب طرف ثوبي، فقال: أمط عن الطريق.

فلما كان العام المقبل لقيني فقال:: يا سلمة تريد الحج؟

فقلت: نعم.

فأخذ بيدي، فأنطلق بي إلى منزله، فأعطاني ست مائة درهم وقال: استعن بها على حجك، وأعلم أنها بالخفقة التي خفقتك.

قلت: يا أمير المؤمنين ما ذكرتها.

قال: وأنا ما نسيتها.

مسؤولية الحاكم

حجَّ سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وقد كان أميراً للمؤمنين، فكان يصلي بصلاته

الناس ويلبون بتلبيته أيضاً. وبينما هو كذلك، إذ قطع تلبيته وابتهاله فجأة، فسأله الناس: ما باله وما خبره؟

فقال الفاروق: رأيت رجلاً فقيراً يسكن كوخاً صغيراً قد تهدلت ثيابه وزاغت نظراته، فخشيت أن لا يقبل الله مني دعاءاً من شدة مسؤوليتي أمام ! والله لو أحياني الله إلى قابل ما تركت على ظهرها فقيراً!

من أقوال عمر بن الخطاب

- (لو عشت لأخذت فضول أموال الاغنياء، فرددتها على الفقراء).
- (ليس أحد أحق بهذا المال من أحد.. سأُلحِق أواخر الناس بأوائلها... وليأتين المرأة في صنعاء نصيبها من هذا المال، ولأطوفنَّ بالأمصار، فأقيم بكل قطر شهرين... فإني أعلم: أن للناس حوائج تُقطع دوني فلا يرفعونها إليَّ، وإما الناس فلا يصلون إليَّ).

المسلم الأسير

قال عمر بن الخطاب ﷺ: لأنْ استنقذ رجلاً من المسلمين من أيدي الكفار أحبٌ إليَّ من جزيرة العرب.

وقال كل أسير كان في أيدي المشركين من المسلمين، ففكاكه من بيت مال المسلمين.

مع عثمان بن عفان ﷺ

المؤمن ينظر بنور الله:

دخل رجل على عثمان بن عفان ﷺ وقد نظر إلى امرأة أجنبية فقال عثمان: أيدخل عليَّ أحدكم وفي عينيه أثر الزنى؟

فقال له الرجل: أوحيٌ بعد رسول الله ﷺ ؟

قال عثمان: لا، ولكنه قول حق، وفراسة صديق[1].

الحاكم المسلم مع شعبه

كان عثمان ﷺ يطعم الناس طعام الإمارة، ويأكل الخل والزيت! وقال عبد الله ابن شداد: رأيت عثمان يخطب يوم الجمعة وهو يومئذ أمير المؤمنين وعليه ثوب قيمته أربعة دراهم أو خمسة[2].

الخوف من الله

وكان لعثمان ﷺ عبد فقال له: إني كنتُ عركت أذنك فاقتصَّ مني، فأخذ العبد بأذنه. فقال عثمان: أشدد، يا حبذا قصاص في الدنيا، لا قصاص في الآخرة[3].

اشترى الجنة مرتين

عن أبي هريرة ﷺ قال: اشترى عثمان بن عفان من رسول الله ﷺ الجنة مرتين: حين حفر بئر رومة، وحين جهز جيش العسرة[4].

أما بئر رومة، فقد كانت بالمدينة، اشتراها عثمان بخمسة وثلاثين ألف درهم، وجعلها وقفاً لله ﷻ، يستقي منها الناس جميعاً.

وأما جيش العسرة، فقد تبرع عثمان له بألف بعير وخمسين فرساً عليها أقتابها وأحلاسها، ثم جاء بعشرة آلاف دينار فصبها بين يدي النبي ﷺ، ثم جهز من القراء على حسابه. وفيه قال رسول الله ﷺ "ما ضرَّ عثمان ما عمل به بعد اليوم. اللهم أرض عن عثمان فأني عنه راض[5].

---

(١) الرياض النضرة ٢/ ١٠٨.

(٢) الرياض النضرة ٢/ ١١٠.

(٣) الرياض النضرة ٢/ ١١١.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٥٨.

(٥) حلية الأولياء ١/ ٥٩ ، الرياض النضرة ٢/ ٩١و١٠٠.

المجتمع في خلافة عثمان ﷺ

قال الحسن البصري:

(شهدت منادي عثمان ﷺ ينادي: يا أيها الناس، أغدوا على أعطياتكم، فيغدون، ويأخذونها وافية. يا أيها الناس، أغدوا على أرزاقكم، فيغدون فيأخذونها وافية. حتى -والله- سمعته أذناي يقول: أغدوا على كسوتكم، فيأخذون الحلل. وأغدوا على السمن والعسل).

وقال: (أرزاق دارّة، وخير كثير، وذات بين حسن، ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً إلا ويوده وينصره ويألفه، فلو صبر بعضهم على الأثرة لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق، ولكنهم لم يصبروا، وسلّوا السيف مع من سلَّ، فصار عن الكفار مغمداً، على المسلمين مسلولاً).

وقال ابن سيرين وكان معاصراً لعثمان:

(كثر المال في زمن عثمان حتى بيعت الجارية بوزنها. وفرس بمائة ألف درهم. ونخلة بألف درهم).

وروى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن أباه قال:

(لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا عليه).

وقال مبارك بن فضالة مولى زيد بن الخطاب: سمعت عثمان يخطب وهو يقول:

(يا أيها الناس، ما تنقمون عليَّ؟ وما من يوم إلا وأنتم تقسمون فيه خيراً).

مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ

قال سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ:

(ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فان أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرتَ الله، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنباً فهو يتدارك

ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل في تقوى، وكيف يقل ما يتقبل؟)[1].

وقال:

(ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، ولا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها)[2].

وقال:

(إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى، وطول الأمل: فأما اتباع الهوى، فيبعد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة. ألا وإن الدنيا قد ترحلتْ مدبرة، ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فان اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل)[3].

وكتب إلى عامله:

(إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فانه ليس شيء أدعى لنقمة،ولا أعظم لتبعة، أحرى بزوال نعمة، ولا انقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها. والله سبحانه مبتديء بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فان ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله ويثقله).

وقال:

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٧٩ - ٨٠. وليست المباهاة بالعبادة أن يفاخر بها، فذلك مما يحبط الأجر، ولكنها هنا: أن يعتزَّ المؤمن بعبادته ولا يخجل منها كما يفعل ضعاف الإيمان حين يكونون مع الفاسقين.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٧٥-٧٦.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٧٥-٧٦.

(إنه ليس شيء ادعى إلى حلول النقم وزوال النعم، وانتقال الدول وزوالها من سفك الدماء المحرمة. وإنك إن ظننت أنك تقوي سلطانك بذلك فليس الأمر كما ظننت، بل تضعه وتوهنه، بل أكثر من ذلك تعدمه بالكلية).

علي بن أبي طالب ﷺ

قال سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ وقد تولى إمارة المؤمنين:

(أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين، ثم لا أشارك المؤمنين في مكاره الزمان؟).

(والله لو شئت لكان لي من صفو هذا العسل، ولباب هذا البَّر، ومناعم هذه الثياب، ولكن هيهات أن يغلبني الهوى فأبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى).

وتقف الدنيا وملوكها يلهثون على الطريق الطويل السامق، فلا يبلغون مواضع أقدام عليٍّ وهو يمر بسوق الكوفة يعرض سيفاً من أسيافه التي طالما سلَّها في سبيل الخير وإعلاء كلمة الله:

(مَنْ يشتري سيفي هذا؟ فوالله لو كان معي ثمن إزار ما بعته)!

وهكذا فان أمير المؤمنين، وإمام المسلمين، وحاكم الأمة باسم الدين لا يستغل نفوذه، ولا يفرض جبروته، ولا يخاطب الناس من بروج عاجية أو صوامع بلورية.. بل إنه ليحيا دون ما يحيا الناس الذين يجدون لقمة العيش هانئة ميسورة!.

ويعلن سيدنا عليُ -أيضاً- للملأ ان المال لله، وأن أمير المؤمنين ليس له في مال المؤمنين أكثر من غيره، إنه الحارس الأمين على مال الله، فيقول:

(لو كان المال مالي لسويت بينهم، فكيف والمال مال الله وهؤلاء عباده)؟!!

ألا ما أعظم ما ربى رسول الله ﷺ أصحابه!!

وصف ضرار لعلي بن أبي طالب ﷺ

أخرج الدولابي: أن معاوية بن أبي سفيان قال لضرار الصدائي:

صف لي علياً -وكان ذلك بعد استشهاده-!

فقال: اعفني يا أمير المؤمنين!

قال: لتصفنَّه.

قال ضرار: (كان والله بعيد المدى، شديد القُوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً. يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس إلى الليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه. يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن. كان فينا كأحدنا: يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه. ونحن -والله- مع تقريبه إيانا وقربه منا، لا نكاد نكلمه هيبة له. فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم. يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله. وأشهد بالله: لقد رأيته في بعض مواقفه - وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه يميل في محرابه -قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيري: ألي تعرضت؟ أم إلي تشوفت؟ هيهات هيهات! قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها. فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك قليل. آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق..)

فبكى معاوية ﷺ وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟

قال: حزن من ذُبح واحدها في حجرها، لا ترقأ دمعتها، ولا يسكن حزنها[1].

---

(١) الرياض النضرة ٢/ ٢١٢-٢١٣، وأبو نعيم في الحلية مع بعض الزيادات. ومعنى (السليم): الملدوغ وهو من ألفاظ الأضداد. ومعنى لا ترقأ: لا تسكن ولا تنقطع.

الوالي الفقير

لما بعث عمر بن الخطاب ﷺ سعيد بن عامر والياً على حمص اشتدت فاقته، حتى تحدث الناس بفقره. فبلغ ذلك عمر، فأرسل إليه بأربعمائة دينار، وكتب إليه يعزم عليه لينفقها على نفسه وأهله. فلما قرأ الكتاب اهتم هماً شديداً حتى ظهر ذلك عليه، فقالت له امرأته: نفسي فداك! ما لي أراك مهتماً، أبلغك موت أمير المؤمنين؟

قال: أعظم من ذلك!

قالت: أبلغك عن ثغور المسلمين شيء؟

قال: أعظم من ذلك!

قالت: وما هو؟

قال: ابتليت بالدنيا، وقد كنت صحبت رسول الله ﷺ فلم أُبْتل لها، وصحبت أبا بكر فلم أُبتلَ بها، وابتليت بها في صحبة عمر، ألا فشر أيامي أيام عمر!

قالت: وما ذاك بأبي أنت وأمي؟

قال: إني أخافك!

قالت: إياي تعني؟

قال: نعم.

قالت: فأنت آمن من هذا.

قال: فانَّ أمير المؤمنين أرسل إليَّ بأربعمائة دينار،وعزمَ عليَّ أن أنفقها عليَّ وعليك، وإن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، و والله ما أحب أن لي حمر النعم وإني أحْبس عن الفوج الأول.

قالت: فدونكها فأصنع بها ما شئت!

فقال: هل من خرق؟ فأعطته قميصاً لها خلقاً، فمزقه خرقاً ثم صر فيه ما بين أربعة إلى عشرة، ثم طرحها في مخلاة، ثم خرج إلى باب الرستن من حمص، فجعل يعطي الناس صرة صرة حتى بقيت صرة في المخلاة، فدفعها والمخلاة إلى رجل ثم رجع فذهب همه واستراح!!!

رجل من أهل الجنة

قاتل طلحة بن عبيد الله يوم (أُحد) قتالاً شديداً، وكان يذب بالسيف عن رسول الله ﷺ من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ويدور خلفه، ويجعل نفسه ترساً لرسول الله ﷺ، وان السيوف لتغشاه، والنبل من كل ناحية، وكان يدافع عن رسول الله ويفديه بنفسه.

لقد رمى أحد المشركين بسهم يريد قتل رسول الله ﷺ فأتقاه طلحة بيده عن وجه رسول الله ﷺ فأصيبت يده بالشلل من ذلك السهم.

وأصيب يومئذ طلحة في رأسه، ضربه رجل من المشركين وهو مقبل، وضربه آخر من خلفه، فنزف الدم من رأسه حتى أغمي عليه، فنضح أبو بكر الماء في وجهه حتى أفاق، فكان أول كلامه أن قال: ما فعل رسول الله ﷺ؟

فقال أبو بكر: بخير هو أرسلني إليك.

فقال طلحة: الحمد لله! كل مصيبة بعده جلل!!

وفي هذه الغزوة نفسها أراد رسول الله ﷺ أن ينهض إلى صخرة من الجبل ليعلوها فلم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله على هيئة الساجد في الصلاة، فصعد رسول الله ﷺ على ظهره فنهض به حتى استوى عليها. قال رسول الله ﷺ:

أوجب طلحة، أي وجبت له الجنة. ثم قال:

من أحبَّ أن ينظر إلى رجل يمشي في الدنيا وهو من أهل الجنة فلينظر إلى طلحة ابن عبيد الله.

مشاهد من تعذيب الصحابة

١- أرى خباب بن الأرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ظهره، وفيه آثار تعذيب المشركين له، فقال عمر: ما رأيت كاليوم! قال خباب: (أوقدوا لي ناراً فما أطفأها إلا ودك ظهري) أي دهنه.

٢- كان عمٌّ الزبير يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه بالنار وهو يقول: ارجع

إلى الكفر! فيقول الزبير: لا أكفر أبداً!!

٣- قال أبو ذر: يا رسول الله، إني أريد أن أظهر ديني.

فقال رسول الله ﷺ: أخاف عليك أن تقتل!

قلت: لا بدَّ منه وإن قتلت!!

قال: فسكت عني. فجئت وقريش حلقاً يتحدثون في المسجد، فقلت:

أشهد أن لا آله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فانتفضت الحلق، فقاموا فضربوني، حتى تركوني كأني نصب أحمر، وكانوا يرون أنهم قد قتلوني، فأفقت فجئت إلى رسول الله ﷺ فرأى ما بي من الحال فقال لي:

ألمْ أنهك؟

فقلت: يا رسول الله، كانت حاجة في نفسي قضيتها.

٤- عن عثمان رضي الله عنه قال:

بينما أنا أمشي مع رسول الله ﷺ بالبطحاء، إذ بعمار وأبيه وأمه يعذبون في الشمس ليرتدوا عن الإسلام! فقال أبو عمار: يا رسول الله، الدهر هكذا! فقال: صبراً آل ياسر، صبراً آل ياسر، فان موعدكم الجنة!

ترى أيمكن أن يكون هذا التفاني في طلب رضوان الله إلا ثمرة من ثمار نبي؟

حديث الشهداء

في تاريخ الصحابة أخبار تشير إلى أن بعضا من الصحابة قد رشح نفسه لنيل الشهادة بإخلاص وتضحية وثقة وصدق حتى نالوها. ومن أولئك الشهداء الكرام (أبو جابر عبد الله بن عمرو الأنصاري) رأى في منامه قبيل غزوة أحد (مبشر أبن عبد المنذر) وكان قد استشهد في غزوة بدر فقال له مبشر:

أنت قادم علينا في أيام.

فقال أبو جابر: وأين أنت؟

قال: في الجنة، نسرح فيها حيث نشاء.

فسأله أبو جابر: ألم تقتل يوم بدر؟

قال: بلى، ثم أحييت.

فقص أبو جابر رؤياه على رسول الله ﷺ، فأجابه رسول الله ﷺ : " هذه الشهادة يا أبا جابر"

وهذا عبد الله بن جحش ابن عمة رسول الله ﷺ يلهج ويلحف بالدعاء ليلة أحد ويقول: اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العدو غداً فيقتلوني، ثم يبقروا بطني، ويجدعوا أنفي، ثم تسألني فيم ذلك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت.

وهذا أنس بن النضر الأنصاري فاتته غزوة بدر، وكان يتمنى أن يشارك بالقتال تحت لواء رسول الله ﷺ وينال الشهادة. وكان يقول:

والله لئن أشهدني الله حرباً أخرى ليرين الله ما يصنع أنس.

فلما وقعت غزوة أحد خرج إليها يكبر ويهلل ويقول: والله إني لأجد ريح الجنة من دون أحد.

واقتحم صفوف الأعداء حتى نال الشهادة، وقد أصيب بأكثر من ثمانين طعنة بسيف أو رمية بسهم أو ضربة برمح ولم يعرفه أحد من كثرة جراحه والتمثيل به إلا أخته من خاتم كان في إصبعه. وفيه وفي أمثاله نزل قول الله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الأحزاب.

لم ننصر بالكثرة

كان عدد الجيش في غزوة مؤته في السنة الثامنة للهجرة ثلاثة آلاف، وجيش الروم مائة ألف أو يزيدون. عندها قال ثابت بن أقرم لأبي هريرة -وكان إلى جانبه في المعركة- وقد برق بصر أبي هريرة من كثرة ما رأى من عدد الروم وسلاحهم، قال ثابت:

(يا أبا هريرة! كأنك ترى جموعاً كثيرة؟)

قال: نعم.

قال: إنك لم تشهد بدراً معنا، إننا لم نُنصر بالكثرة.

وفي المعركة نفسها خاطب عبد الله بن رواحة المسلمين قائلاً:

(... وما نقاتل الناس بعدد وقوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة)!

ولما هزم جيش سيدنا خالد بن الوليد جيش طليحة الاسدي - لما كان مدعياً للنبوة- وقد كان جنده الأكثرين- قال طليحة لما رأى كثرة انهزام أصحابه: ويلكم! ما يهزمكم؟!

قال رجل منهم: أنا أحدثك: إنه ليس رجل منا إلا وهو يُحبُّ أن يموت صاحبه قبله، وإنا لنلقى قوماً -يقصد المسلمين- كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه!!

ويوم ننهج -نحن المسلمين- نهج هؤلاء الكرام من سلفنا الصالح، فنُخلِص ديننا لله، ونقاتل في سبيله، متجردين من كل عصبية جاهلية.. يومها ترجع لنا فلسطين والقدس!!

إن روسيا بجبروتها وأسلحتها الجهنمية استخذت، ومرَّغ كرامتها في الوحل مجاهدو الأفغان، الفقراء إلى المال والسلاح والغذاء، ولكنَّ طاعتهم لله، وقتالهم لإعلاء دينه وغناهم بالإيمان أظهرهم على روسيا وعملائها!

فهل نعي ونقتدي؟!!

ليس من كدك يا معاوية

حبس معاوية بن أبي سفيان ﷺ العطاء يوماً. فلما صعد المنبر قام إليه أبو مسلم الخولاني فقال له:

لمَ حبست العطاء يا معاوية؟ إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا كد أمك

حتى تحبس!

فغضب معاوية غضباً شديداً، ونزل عن المنبر، وقال للناس: مكانكم، وغاب عن أعينهم ساعة ثم عاد إليهم فقال:

إن أبا مسلم كلَّمني بكلام أغضبني، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء. فإذا غضب أحدكم فليغتسل)، وإني دخلت فاغتسلت، وصدق أبو مسلم: إنه ليس من كدي ولا كد أبي فهلموا إلى عطائكم.

لا تكونوا أعواناً للشيطان على أخيكم المسلم

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

إذا رأيتم أخاكم قارف ذنباً، فلا تكونوا أعواناً للشيطان عليه تقولون: اللهم أخزه، اللهم العنه، ولكن سلوا الله العافية، فإنَّا أصحاب محمد ﷺ كنا لا نقول في أحد شيئاً حتى نعلم علام يموت: فان ختم له بخير، علمنا أنه قد أصاب خيراً، وإن خُتم له بشر، خفنا عليه.

ترافقوا في الجنة

حضرت الصحابية الجليلة (أم خلاّد) غزوة (أحد) مع زوجها وولدها وأخيها، واستُشهد الثلاثة في تلك الغزوة. فحملتهم الصحابية على بعيرها لتقبرهم في المدينة. ولما وجهت البعير ناحية (جبل أحد) أسرع! ولعله أُلهم بأن يبقى بالشهداء الثلاثة ليدفنوا مع رفاقهم في ظلال (أُحد). ومكث رسول الله ﷺ حتى دفنهم بيده ثم قال لأم خلاَّد:

(يا هند ! لقد ترافقوا في الجنة: عمرو بن الجموح، وابنك خلاَّد، وأخوك عبد الله)!

المحتوى

الموضوع الصفحة

مقدمة..... ٥-١٥

أولاً: السبق العلمي للقرآن الكريم..... ١٧-٣٥

المعالجة بالقرآن الكريم-الإعجاز التاريخي القرآني في غرق فرعون- علم التشريح والإحساس في الجلد-ملازمة الليل والنهار على الأرض-سموات بلا عمد مرئية-البرزخ-العلم وإحصاء الأعمال-الرياح وإثارة السحب-أصل الوقود الشجر الأخضر- كان القمر مشتعلاً ثم انطفأ-الذباب يعجزنا-النمل يسمع ويتكلم-التبرج والسرطان-السواك والطب الحديث-الأمراض النفسية وعلاجها بالصلاة-الصلاة والشعور بالأمن الجماعي- تأثير القرآن حتى في نفوس غير العرب-من ألوان التناسق العددي في الكلمات القرآنية.

ثانياً: الإسلام والعلم..... ٣٧-٤٦

حول طلب العلم-أنبل المراتب-السؤدد-من حديث العلماء-من مواقف العلماء-النهضة العلمية في الأندلس-فتوى في السياسة المالية-سجين يُدَرِّس-سعادة الدنيا والآخرة- بنان وأبن طولون- التأدب مع العلماء-لحوم العلماء مسمومة.

ثالثاً: من روائع القضاء الإسلامي..... ٤٧-٥٣

إرساء قواعد العدالة-إنما ذاك شيء لله-السلطان يحكم ولا يشهد-لا مكان للوساطة-يحكم لليهودي على المسلم-من تاريخ

القضاة- يرفض القضاء فيقيم الأمير عليه الحجة-أبو حنيفة والقضاء-من روائع القضاء-بين القاضي شريح وولده.

رابعاً: من وصايا الحكماء ٥٥-٦٧

من حِكَم أبي بكر الصديق ﷺ-من حِكَم عمر أبن الخطاب ﷺ-من حِكَم عثمان بن عفان -ﷺ-من حِكَم علي بن أبي طالب ﷺ-لقمان الحكيم يوصي ولده-من وصايا الأمهات-من حكمة العرب-لا تحزن-حِكَم-مع أويس القرني-مع ملك النوبة-المظهر والمخبر-نعمة العقل-عظة وجيزة-من أقوال أبي الدرداء-موعظة وجيزة-الإيجاز في الخطبة.

خامساً: مع الشعر الإسلامي ٦٩-٩٧

عندما يئن العفاف للدكتور عبد الرحمن العشماوي-باسم الشعب ليوسف العظم-الحقيقة المرّة للدكتور عبد الجبار الجومرد-يا رافعاً علم الجهاد للدكتور عبد الرحمن العشماوي-سجدة السحر لوليد الأعظمي-يا قوم لا تتكلموا لمعروف الرصافي-أنا مسلم لأبي القيم الكبيسي- من أدب الفقهاء لعبد الله أبن المبارك-الشافعي الشاعر للإمام الشافعي-زيارة الوالدين للشيخ محمد القصار القيسي- الفاسي-عائشة أم المؤمنين لموسى بن محمد بن عبد الله الواعظ-من منفى إلى منفى لعبد الله البردوني- العرب وعبادة الأوثان لمحمد حبيب العبيدي-ذكر ونسيان لوليد الأعظمي-معركة جنين لمحمود شيت خطاب-في رثاء الشيخ ذي النون البدراني للشيخ صلاح الدين عزيز-وطني للدكتور عبد الرحمن العشماوي- ولكن الجميع بلا إمام-وكلٌ يدعي وصلاً بليلى لأبي

الطيب المتنبيء-الموت لعبد الله أبن محمد بن هبة الله-يا فتى القرآن-التخنث لمصطفى صادق الرافعي ومحمود غنيم.

سادساً: الإسلام والغرب..... ٩٩-١٠٩

الوحدة الإسلامية-وثائق من تقارير لورنس العرب-الخوف من الإسلام-أمريكا واليقظة الإسلامية-عنصران من عناصر الشر-لئلا يكتسح الإسلام أمريكا-هكذا خطط الأعداء-نظرة الغرب إلى الإسلام-مؤامرة دقيقة- هكذا يخططون – القرآن واللغة العربية.

سابعاً: قالوا في الإسلام ١١١-١٢٥

قالوا في الإسلام-القرن القادم هو قرن القرآن-حاجة العالم المعاصر-قالوا في الشريعة الإسلامية-الفقه الإسلامي والتطور-رجال القانون والشريعة الإسلامية-المسلمون بناة الحضارة-من أقوال المنصفين من غير المسلمين-كلمة حق من صاحب ضمير حي-من أقوال الغربيين في الرسول محمد ﷺ -شهادات في الإسلام والحضارة الإسلامية-قالوا في القرآن الكريم-لهذا أسلمت.

ثامناً: من مكارم الأخلاق ١٢٧-١٥٧

الرسول ﷺ في بيته-ما تحمله الرسول ﷺ في سبيل الدعوة-الرسول القائد في غزوة بدر-قبيل وفاة النبي ﷺ -مزاح النبي ﷺ -الرفق بالحيوان-يشتهي سمكة-من حديث الإيثار-الحفاظ على عهد الأم-غض البصر-الحياء-التواضع-العفو-الصبر-

الغيبة-دعاة الاختلاط والتجربة الأمريكية-مواساة-قضاء حاجة المسلم-شاب يعيش هموم أمته-التلطف في تقديم النصيحة-كذب لينقذ مظلوماً-البر بالآباء-العفو عند المقدرة-حين ينتصر الإيمان على الأنانية-جعفر الصادق والغلام-إياك وكثرة الجدل-أعور وأعرج-مكارم الأخلاق-من روائع التسامح-أحب الإخوان-العيب في النفوس.

تاسعاً: الإسلام دين الحياة ١٥٩-١٧٧

انتشار الإسلام في العالم كله-الرسول الكريم وعدي بن حاتم-وحدة الأمة المسلمة-الشعور بالمسؤولية أمام الله تعالى-لذة الصالحين في قيام الليل-فتنة الشهرة- إياك والمعصية-محاسبة النفس-وصية السلطان محمد الفاتح لولده-بين والد وولده (التدرج في إصلاح الفساد)-الإسلام وتحرير العبيد-التخفيف عن العبيد-الرفق بالعبيد-عثمان بن عفان ينصف عبده من نفسه-أبن السماك وهرون الرشيد-شريعة الله ونظام الغرب-مناظرة-قرآن وسنة-التسرع في الفتوى-امرأة مؤمنة مجاهدة.

عاشراً: مع صحابة رسول الله ﷺ ١٧٩-٢٠٧

محبة الصحابة-من سخاء الصحابة-خوف الصحابة من الله-من سماحة المسلمين-حول مثالب الصحابة المزعومة-مع أبي بكر الصديق-لا خير إلا بالطاعة-أحذر نفسك-سيرة المؤمن-خليفة المسلمين مع واحد من الرعية-وصية أبي بكر الصديق-مع عمر أبن الخطاب (هكذا يصنع الإسلام الرجال)-هذا هو الإسلام-في

صحبة الفاروق-هكذا فاصنعوا لهن-هذه دنياكم-قصة الشجرة-زهد عمر-عمر بن الخطاب والحلية-أبن الخطاب في عام الرمادة-من ورع أبن الخطاب-خذوا كيف شئتم-القوي الأمين-يحلف على أيمان ثلاث-قبيل وفاة عمر-مع حفصة زوج النبي ﷺ - يعوض ضربة الدرة بالحج-مسؤولية الحاكم-من أقوال عمر ابن الخطاب-المسلم الأسير-مع عثمان بن عفان-الحاكم المسلم مع شعبه-الخوف من الله-أشترى الجنة مرتين-المجتمع في خلافة عثمان بن عفان-مع أمير المؤمنين علي بن أبى طالب-علي بن أبي طالب-وصف ضرار لعلي بن أبي طالب-الوالي الفقير-رجل من أهل الجنة-مشاهد من تعذيب الصحابة-حديث الشهداء-لم ننصر بالكثرة-ليس من كدك يا معاوية-لا تكونوا أعواناً للشيطان على أخيكم المسلم-ترافقوا في الجنة.